حكمة السنة النبوية

الجزء الثاني

رواء محمود حسين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حكمة السنة النبوية

الجزء الثاني

تأليف

رواء محمود حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾} (آل عمران: 144) .

وقال سبحانه: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾} (الأحزاب: 40).

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾} (سورة محمد: 2) .

وقال تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾} (الفتح: 29).

عن علقمة بن وقاص الليثي، يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه".

(حديث صحيح).

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، [آل عمران: 102].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }، [النساء: 1].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }، [الاحزاب: 70 – 71].

أما بعد[1]:

[1] تنظر خطبة الحاجة عند: النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ، باب: كيفية الخطبة، حديث (1404)، [فيه] أبو عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً، ص 165، البيهقي (المتوفى: 458هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، 1413 هـ، 7/ 164، غير مرفوع، أبو داود سليمان بن الاشعث السجستاني: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1389 هـ، (2118)، سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]،النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط1، مكتبة المؤيد، 1408 هـ، ص355،

فهذا هو الجزء الثاني من كتاب "حكمة السنة النبوية"، وكان الجزء الأول من هذا الكتاب قد صدر عن شبكة الألوكة من قبل. [2]

يتضمن الجزء الثاني من "حكمة السنة النبوية" الفصول والمباحث الاتية:

الفصل الأول: تعليم الحكمة النبوية، وفيه المباحث الآتية:

المبحث الأول: مفهوم السنة النبوية.

المبحث الثاني: حجية السنة النبوية.

المبحث الثالث: مدخل إلى مصادر السنة النبوية، صحيح البخاري أنموذجاً.

أما الفصل الثاني، والموسوم "دراسات في الحديث النبوي" فيتضمن المباحث الاتية:

المبحث الأول: وما نهيتكم عنه فانتهوا.

المبحث الثاني: لا ضرر ولا ضرار.

المبحث الثالث: الاقتصاد في المعيشة.

إسناده صحيح، الالباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط1، المكتب الاسلامي، بيروت، 1400 هـ، ص 255، (الحديث صحيح)، الألباني: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط1، 1421 – 2000 م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص 3، الاصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423 هـ، 208/7، (تفرد به عفان عن شعبة).

[2] د. رواء محمود حسين: "حكمة السنة النبوية": الجزء الأول، تاريخ الإضافة: 2022/1/17 ميلادي – 1443/6/13 هجري.

رابط الموضوع:

https://www.alukah.net/library/0/152256/%D8%AD%D9%83%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%B2%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84-PDF/#ixzz7ga1FJnm3

المبحث الرابع يا غلام: إني أعلمك كلمات.

أما الفصل الثالث من الكتاب، والموسوم: الفصل الثالث: أبحاث في التاريخ النبوي،

فيشمل الأبحاث الاتية:

المبحث الأول: قبل البعثة النبوية.

المبحث الثاني: بئر زمزم.

المبحث الثالث: اليتيم.

المبحث الرابع: النبي.

المبحث الخامس: إسلام الصحابة.

ويتضمن الفصل الرابع من الكتاب والموسوم "ملاحق" الملاحق الاتية:

الملحق الأول: من حكمة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، نحو تجديد الصلة بالله سبحانه، من خلال الدعاء النبوي.

الملحق الثاني: من حكمة عيسى بن مريم، عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، مختارات من كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير.

الملحق الثالث: في اجماع الصحابة والتابعين والعلماء.

الملحق الرابع: في علم الرجال، فهرس من اسمه عبد الحكيم من العلماء (1).

والله سبحانه وتعالى أسال أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

رواء محمود حسين

6/ ربيع الأول/ 1444 هـ

2/ 10/ 2022م

الفصل الأول

تعليم الحكمة النبوية

المبحث الأول

مفهوم السنة النبوية

السنة لغة:

قال الزبيدي في "تاج العروس": (و) السنة: (السيرة) حسنة كانت أو قبيحة.

ونقل الزبيدي عن الأزهري: "السنة: الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة؛ معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة".

وذكر الزبيدي أن السنة (من الله) إذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها (حكمه وأمره ونهيه) مما أمر به النبي، صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وندب إليه قولا وفعلا مما لم ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب، والسنة، أي القرآن والحديث.

ونقل الزبيدي عن الراغب قوله: "سنة النبي: طريقته التي كان يتحراها" وسنة الله، عز وجل، قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته، نحو قوله تعالى: {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ} (الأحزاب: 38)؛ وقوله تعالى: {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾} (فاطر: 43)؛ فنبه على أن وجوه الشرائع وإن اختلفت صورها، فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدل، وهو تطمين النفس وترشيحها للوصول إلى ثواب الله تعالى. [3]

[3] محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ): " تاج العروس من جواهر القاموس"، المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية، 35/ 230.

السنة اصطلاحاً:

يذكر الدكتور محمد عجاج الخطيب أن "السنة في اصطلاح المحدثين هي: كل ما أثر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية، أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء، أو بعدها." والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي. أما السنة في اصطلاح علماء أصول الفقه: "هي كل ما صدر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – غير القرآن الكريم، من قول، أو فعل، أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعي. أما القول فهو أحاديثه – صلى الله عليه وسلم – التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات، فترتب على ذلك حكم شرعي، كقوله – صلى الله عليه وسلم – «لا وصية لوارث» وقوله: «لا ضرر ولا ضرار» وقوله في زكاة الزروع: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عشريا العشر، وما سقى بالنضح نصف العشر» وقوله في البحر: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته». [4]

وإلى قريب من ذلك يذهب عبد القادر السندي أن معنى السنة في اصطلاح علماء الإسلام، مختلف باختلاف أغراضهم وفنونهم:

فالسنة عند الأصوليين "عبارة عما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدا القرآن الكريم من قول، أو فعل، أو تقرير، فيخرج من السنة عندهم ما صدر من غيره عليه الصلاة والسلام رسولا كان أو غير رسول، وما صدر عنه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة".

---

[4] محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب: " السنة قبل التدوين"، أصل هذا الكتاب: رسالة ماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، 1400 هـ – 1980 م، ص 16. وقارن مع: محمد مصطفى الأعظمي: "دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، الناشر: المكتب الإسلامي، سنة النشر: 1400 – 1980م، ص 1 وما بعد.

أحمد بن عمر بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد بن هاشم: "كتابة السنة النبوية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وأثرها في حفظ السنة النبوية"، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص 7.

والسنة عند الفقهاء: "عبارة عن الفعل الذي دل الخطاب على طلبه من غير إيجاب، ويرادفها المندوب والمستحب، والتطوع، والنفل، والتفرقة بين معاني هذه الألفاظ اصطلاح خاص لبعض الفقهاء، وقد تطلق على ما يقابل البدعة منه قولهم طلاق السنة كذا، وطلاق البدعة كذا، فهم بحثوا عن رسول الله صلة الله عليه وسلم الذي تدل أفعاله على حكم شرعي.

أما عند المحدثين، فإن الرأي السائد بينهم – ولا سيما المتأخرين منهم – أن الحديث والسنة مترادفان متساويان يوضع أحدهما مكان الآخر. وينقل عن العلامة الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "الحديث النبوي عند الإطلاق ينصرف إلى ما حدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النبوة من قول أو فعل أو إقرار، فإن سنته صلى الله عليه وسلم ثبتت عن هذه الوجوه الثلاثة وإن كان تشريعا إيجابا أو تحريما أو إباحة وجب اتباعه فيه صلى الله عليه وسلم فإن الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله تعالى فلا يكون خبرهم إلا حقاً". [5]

ويشير الدكتور نور الدين عتر أن السنة اصطلاح المحدثين: تطلق "على ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة عند بعضهم، والأكثر أنها تشمل ما أضيف إلى الصحابي أو التابعي". أما علماء الآثار فأكثر ما يستعلمون كلمة "الحديث." وأما الأثر: فقد جعله فقهاء خراسان مخصوصاً بالموقوف اصطلاحاً. ومنهم جماعة خصوا المرفوع بالخبر. لكن المعتمد الذي عليه المحدثون أن يسمى كل هذا أثرا، لأنه مأخوذ من أثرت الحديث أي رويته. [6]

---

[5] عبد القادر بن حبيب الله السندي: " حجية السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي"، الناشر: الجامعة الإسلامية المدينة المنورة الطبعة: السنة الثامنة – العدد الثاني – رمضان 1395هـ سبتمبر 1975م، ص 90.

[6] الدكتور نور الدين عتر: " منهج النقد في علوم الحديث"، الناشر: دار الفكر، دمشق – سورية الطبعة: الثالثة، 1401 هـ – 1981 م، ص 28.

ويرى الدكتور صبحي الصالح أن الحديث والسنة مترادفان متساويان، يوضع أحدهما مكان الآخر: ففي كل منهما إضافة قول أو فعل أو تقرير أو صفة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، لكن رد هذين اللفظين إلى أصولهما التاريخية يؤكد وجود بعض الفروق الدقيقة بين الاستعمالين لغة واصطلاحا. فالحديث، كما لاحظ أبو البقاء، «هو اسم من التحديث، وهو الإخبار، ثم سمي به قول أو فعل أو تقرير نسب إلى النبي – عليه الصلاة وكيفما نفكر في مادة «الحديث» تجد معنى «الإخبار» واضحا فيها حتى في قوله تعالى: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ} (الطور: 34)، وقوله: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا} (الزمر: 23). [7]

وقد استشعر بعض العلماء، كما يشير الدكتور صبحي الصالح، في مادة «الحديث» معنى «الجدة»، فأطلقوه على ما يقابل القديم، وهم يريدون بالقديم كتاب الله، وبالجديد ما أضيف إلى رسول الله. قال شيخ الإسلام ابن حجر في " شرح البخاري ": «المراد بالحديث في عرف الشرع: ما يضاف إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، وكأنه أريد به مقابلة القرآن لأنه قديم» وهذا يبين لنا تورع كثير من العلماء من إطلاق اسم الحديث على كتاب الله. وفي " سنن ابن ماجه " رواية لحديث نبوي تكاد تقطع بضرورة هذا الورع وهذا الأدب في التعبير: عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إنما هما اثنتان: الكلام والهدي. فأحسن الكلام كلام الله، وأحسن الهدي هدي محمد». [8]

لذلك، يضيف الصالح، وإذا وجدنا في جل كتب السنن «إن أحسن الحديث كتاب الله». ثم لا حظنا تفرد ابن ماجه برواية «أحسن الكلام» تبين لنا أنه ليس بمستبعد أن يكون الورع حمله على إيثار هذا التعبير، وكان أقل ما نستنبطه من ذلك أن في العلماء من تحرج من

---

[7] د. صبحي إبراهيم الصالح (المتوفى: 1407هـ): " علوم الحديث ومصطلحه – عرضٌ ودراسة"، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت – لبنان الطبعة: الخامسة عشر، 1984 م، ص 4–5.

[8] د. صبحي إبراهيم الصالح: " علوم الحديث ومصطلحه – عرضٌ ودراسة"، ص 4–5.

إطلاق اسم الحديث على كتاب الله القديم. والنبي، صلى الله عليه وسلم، سمى بنفسه قوله «حديثا» وكاد بهذه التسمية يميز ما أضيف إليه عما عداه، حتى كأنه وضع الأصول لما اصطلحوا فيما بعد على تسميته «بالحديث». جاء أبو هريرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن أسعد الناس بشفاعته يوم القيامة، فكان جوابه – عليه السلام –: «أنه علم أن لن يسأله عن هذا الحديث أحد قبل أبي هريرة لحرصه على طلب الحديث». [9]

[9] د. صبحي إبراهيم الصالح: " علوم الحديث ومصطلحه – عرضٌ ودراسة"، ص 5.

المبحث الثاني

حجية السنة النبوية

لقد أرسل الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم بدين الاسلام. وجعل معجزته القرآن الكريم، وهي المعجزة اللغوية الوحيدة بين معجزات الرسل عليهم السلام، وقد كان للقرآن الكريم مكان الصدارة لدى أرباب اللغة والبيان، ومن ثم فقد عد الباحثون قديما " وحديثا " أهم حدث في تاريخ هذه اللغة، وبدا أثر هذا الحدث واضحا " في لغة الحديث النبوي الشريف، ونستطيع أن نلاحظ هذا الاثر بسهولة بالغة في مجيء القرآن الكريم بأصول الدين الاسلامي وأحكامه مجملة دون تفصيل، ثم تولت السنة النبوية الشريفة تفصيل ذلك وبيانه {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾} (النحل: 44). [10]

فالقرآن الكريم مثلاً لم يذكر التكاليف العملية التفصيلية، بل هو لم يبين المعاني المرادة لكثير من الالفاظ التي تحمل هذه التكاليف، فضلا عن بيانه كيفية أدائها، مع أن هذه الالفاظ كانت تحمل معاني جديدة لم يكن العرب يعرفونها من ذي قبل، ولعل أبرز مثال على ذلك ألفاظ " الصلاة " الزكاة، الحج ... " مع أن هذه الالفاظ كانت تبين الأركان العملية للدين، فجاءت السنة النبوية الشريفة تفصل أوقات الصلاة وكيفياتها، كما فصلت القواعد، والأسس والمبادئ التي يجب اتباعها في أداء الزكاة وجبايتها وصرفها. والصلاة والزكاة نموذجان لما

---

[10] محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي: " معجم لغة الفقهاء"، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1408 هـ – 1988 م، ص 24 – 25.

تناولته النبوية بالبيان والشرح، حتى أنه يجوز القول إن السنة النبوية تبين المراد من ألفاظ القرآن الكريم بياناً لغوياً كما أنها توضح المفاهيم الأخلاقية والاجتماعية والإنسانية، وتبين السلوك المترتب على هذه المفاهيم الجديدة التي أتى بها القرآن الكريم.[11]

وذكر ابن فارس أن مصدر العلم من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإجماع الأمة، والقياس، وهو الاعتبار. فأما الكتاب، "فمن قولك: كتبت الشيء. إذا جمعته، فسمي كتابا لما فيه جمع من الأنباء والقصص والأحكام".

وأما السنة "فالسيرة؛ يقال: هو حسن السنة: إذا كان جميل السيرة. والسنن: الطريق؛ يقال: خل عن سنن الطريق".

وأما الإجماع "فمن قولنا: أجمع الناس على كذا، إذا أصفقوا. وأجمعوا أمرهم. إذا اتفقوا عليه. قال الله تعالى: {فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ} (يونس: 71). وليس الإجماع باجتماع الشخوص، ولكن باتفاق الأقاويل على الشيء، لأن اجتماع الأشخاص مما لا يكاد يكون".

وأما القياس "ففعل القايس، وهو العرفان بمقدار الشيء، ورده إلى الذي يوازيه، ويساويه في القدر". [12]

كتب الإمام الشافعي في كتابه "الرسالة" باباً بعنوان: "بيان فرضِ الله في كتابه اتباعَ سنة نبيه"، وذكر فيه أن الله سبحانه وتعالى بين مكانة رسوله صلى الله عليه وسلم من دينه وفرضه وكتابه، وافترض من طاعته، وحرم من معصيته، وأبان من فضيلته، بما قرن من الإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم مع الإيمان به. فقال تعالى: {فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ} (النساء: 171)، وقال

---

[11] محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي: " معجم لغة الفقهاء"، ص 24 – 25.

[12] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ): " حلية الفقهاء"، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع – بيروت الطبعة: الأولى (1403هـ – 1983م)، ص 20 – 21.

سبحانه: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾} (النور: 62). فجعل كمال ابتداء الإيمان، الذي ما سواه تبع له: الإيمان بالله ورسوله. فلو آمن عبد به، ولم يؤمن برسوله: لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبدا، حتى يؤمن برسوله معه. [13]

ويضيف الشافعي فرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم. فقال في كتابه: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾} (البقرة: 129). وقال جل ثناؤه: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾} (البقرة: 151). وقال: " لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (164) " [آل عمران]. وقال جل ثناؤه {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} ﴿الجمعة: ٢﴾. فذكر الله الكتاب، وهو القُرآن، وذكر الحِكْمَة، فسمعتُ مَنْ أرْضى من أهل العلم بالقُرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله. وهذا يشبه ما قال، والله أعلم. [14]

فالقرآن ذكر وأتبعته الحكمة، وذكر الله منه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز – والله أعلم – أن يقال الحكمة هاهنا إلا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله، وأن الله افترض طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأوجب على

---

[13] الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): " الرسالة"، المحقق: أحمد شاكر الناشر: مكتبه الحلبي، مصر الطبعة: الأولى، 1358هـ/1940م، 1/ 73 – 76.

[14] الشافعي: " الرسالة"، 1/ 73 – 76.

الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقول: فرض، إلا لكتاب الله، ثم سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. لما وصفنا، من أن الله جعل الإيمان برسوله مقرونا بالإيمان به. وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينة عن الله معنى ما أراد، دليلا على خاصه وعامه، ثم قرن الحكمة بها بكتابه، فاتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله صلى الله عليه وسلم. [15]

وتحدث الشافعي في كتابه: "جماع العلم" عن صفة نهي النبي صلى الله عليه وسلم فذكر أن أصل النهي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل ما نهى عنه فهو محرم حتى تحضر عنه دلالة تدل على أنه إنما نهى عنه لدلالة غير التحريم إما أراد به نهيا عن بعض الأمور دون بعض وإما أراد به النهي للتنزيه عن المنهي والأدب والاختيار. ولا نفرق بين نهي النبي صلى الله عليه وسلم إلا بدلالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر لم يختلف فيه المسلمون فنعلم أن المسلمين كلهم لا يجهلون سنة وقد يمكن أن يجهلها بعضهم، فمما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان على التحريم لم يختلف أكثر العامة فيه أنه نهى عن الذهب بالورق إلا هاء وهاء وعن الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل يدا بيد ونهى عن بيعتين في بيعة. فقلنا والعامة معنا إذا تبايع المتبايعان ذهبا بورق أو ذهبا بذهب فلم يتقابضيا قبل أن يتفرقا فالبيع مفسوخ وكانت حجتنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نهى عنه صار محرماً. [16]

وبحث القفال الشاشي (العلة المعلومة بالسنة)، وذكر أن من مثال العلة المعلومة بالسنة في قوله عليه السلام والصلاة، "ليس الوضوء على من نام قائماً أو قاعدا أو راكعا أو ساجدا انما الوضوء على من نام مضطجعا" فإنه إذا نام مضطجعاً استرخت مفاصله جعل

---

[15] الشافعي: " الرسالة"، 1/ 76 – 79.

[16] الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): " جماع العلم"، الناشر: دار الآثار الطبعة: الأولى 1423هـ-2002م، ص 58.

استرخاء المفاصل علة فيتعدى الحكم بهذه العلة الى النوم مستنداً أو متكئاً إلى شيء لو أزيل عنه لسقط، وكذلك يتعدى الحكم بهذه العلة الى الإغماء والسكر وكذلك قوله عليه السلام. [17]

وكتب الإمام الجصاص عن [البيان من الرسول صلى الله عليه وسلم بالقول]، فذكر أن البيان من الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالقول: نحو سائر السنن المبتدأة ونحو تخصيصه لعموم القرآن " كنهيه عن بيع ما ليس عند الإنسان "، و " بيع ما لم يقبض "، و " أحلت لي ميتتان " ونحو قوله " خمس يقتلهن المحرم في الحل والحرم " خص به قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾} [المائدة: 95]، وذكر [البيان من الرسول صلى الله عليه وسلم بالكتابة]، فيكون البيان من الرسول صلى الله عليه وسلم بالكتابة أيضاً: كنحو " كتابه الذي كتبه لعمرو بن حزم في الصدقات والديات وسائر الأحكام "، و " كتابه الذي كتبه لأبي بكر الصديق في الصدقات " وقال عبد الله بن حكيم، ورد علينا كتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل موته بشهرين «أن لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب». [18]

وقال (الضحاك بن سفيان) الكلابي «كتب إلي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن أورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها» فثبت أن الكتابة يقع بها البيان كوقوعه بالقول ويكون من النبي – صلى الله عليه وسلم – بيان المجمل في الكتاب بهذين الوجهين، نحو قوله – صلى الله عليه وسلم – «ليس فيما دون خمس أواق صدقة» ، و «لا زكاة في مال

---

[17] نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي (المتوفى: 344هـ): " أصول الشاشي"، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ص 329.

[18] أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ): " الفصول في الأصول"، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية الطبعة: الثانية، 1414هـ – 1994م، 2/ 33.

حتى يحول عليه الحول» ، وبيانه لفروض صدقات المواشي بالقول والكتابة، كل ذلك بيان للمراد بقوله تعالى {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ} [التوبة: 103] ، وقوله – صلى الله عليه وسلم – «فيما سقت السماء العشر» بيان لقوله تعالى: {وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ} [الأنعام: 141] وقوله تعالى {أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ} [البقرة: 267]. [19]

وتحدث العكبري عن (سنة رسول الله)، فقال: "وقسمتها قسمة الكتاب وتزيد عليه بقسمين يختصان بها دون الكتاب الفعل والإقرار على القول والفعل، ففعله يجب أن يقتدى به في إيجاب وندب وإباحة لمساواته لنا في التكليف، والدخول تحت المرسوم والحدود فأما فعل الله تعالى فخارج عن هذا القبيل لعدم دخوله تحت مرسوم لأنه حاكم غير محكوم عليه، وإقراره على القول والفعل يدل على الإباحة لأنه بعث مبينا ومؤدبا ومعرفا وجوه الفساد والصلاح فلا يجوز عليه الإقرار على ما هو قبيح في الشرع". [20]

وذكر الإمام الجصاص (البيان من الرسول بالفعل)، ومنه (البيان منه بالفعل أيضاً كفعله) لأعداد ركعات الصلاة المفروضة وأوصافها وقع به بيان المجمل من قوله تعالى {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [البقرة: 43] ونحو فعله في المناسك بيانا لقوله تعالى {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ} [آل عمران: 97] وقد أكد ذلك بقوله – صلى الله عليه وسلم – «صلوا كما رأيتموني أصلي» وقوله «خذوا عني مناسككم» نبههم به على وجوب اعتبار البيان بفعله عما أجمل في الكتاب (ذكره) وليس كل فعله في الصلاة أو الصدقة بيانا للجملة (التي) في الكتاب، لأنه لو صلى لنفسه لم يدل ذلك على أنه بيان لقوله تعالى {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [البقرة: 43] ولو

---

[19] الجصاص الحنفي: " الفصول في الأصول"، 2/ 34.

[20] أبو علي الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب العكبريّ الحنبلي (المتوفى: 428هـ): " رسالة في أصول الفقه"، المحقق: د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر الناشر: المكتبة المكية – مكة المكرمة الطبعة: الأولى، 1413هـ-1992م، ص 59.

تصدق بصدقة لم يدل على أنها مراده بقوله تعالى {وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: 43] وإنما يقع على وجه البيان ما يجمع الناس عليه من المكتوبات أو عقل (من) فعله أنه فعلها على أنها فرض، فيكون هذا دليلا على أنه معقول بالكتاب فصار بيانا له، لأن قوله تعالى {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} (البقرة: 43)، موجب لفرضهما وما فعله في نفسه لم يثبت أنه فعله فرضا فلا يكون فيه دلالة على أنه فعله بياناً. [21]

وذكر الإمام الرامهرمزي في كتابه: "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي" شرف ومكانة علماء الحديث، فقال في مقدمته للكتاب:

" بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ولا إله إلا الله، وعلى محمد نبي الله وآله صلوات الله: اعترضت طائفة ممن يشنأ الحديث ويبغض أهله، فقالوا بتنقص أصحاب الحديث والإزراء بهم، وأسرفوا في ذمهم والتقول عليهم، وقد شرف الله الحديث وفضل أهله، وأعلى منزلته، وحكمه على كل نحلة، وقدمه على كل علم، ورفع من ذكر من حمله وعني به، فهم بيضة الدين ومنار الحجة، وكيف لا يستوجبون الفضيلة، ولا يستحقون الرتبة الرفيعة، وهم الذين حفظوا على الأمة هذا الدين، وأخبروا عن أنباء التنزيل، وأثبتوا ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، وما عظمه الله عز وجل به من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم، فنقلوا شرائعه، ودونوا مشاهده، وصنفوا أعلامه ودلائله، وحققوا مناقب عترته، ومآثر آبائه وعشيرته، وجاءوا بسير الأنبياء، ومقامات الأولياء، وأخبار الشهداء والصديقين..." [22]

ويضيق الرامهرمزي عن مكانة علماء الحديث:

---

[21] الجصاص الحنفي: " الفصول في الأصول"، 2/ 34 – 35.

[22] أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي (المتوفى: 360هـ): " المحدث الفاصل بين الراوي والواعي"، المحقق: د. محمد عجاج الخطيب الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: الثالثة، 1404هـ، ص 162.

"وعبروا عن جميع فعل النبي صلى الله عليه وسلم، في سفره وحضره، وظعنه وإقامته، وسائر أحواله، من منام ويقظة، وإشارة وتصريح، وصمت ونطق، ونهوض وقعود، ومأكل ومشرب، وملبس ومركب، وما كان سبيله في حال الرضا والسخط، والإنكار والقبول، حتى القلامة من ظفره، ما كان يصنع بها، والنخاعة من فيه أين كانت وجهتها، وما كان يقوله عند كل فعل يحدثه ويفعله عند كل موقف ومشهد يشهده تعظيما له صلى الله عليه وسلم، ومعرفة بأقدار ما ذكر عنه وأسند إليه، فمن عرف للإسلام حقه، وأوجب للرسول حرمته، أكبر أن يحتقر من عظم الله شأنه، وأعلى مكانه، وأظهر حجته وأبان فضيلته، ولم يرتق بطعنه إلى حزب الرسول وأتباع الوحي، وأوعية الدين، ونقلة الأحكام والقرآن، الذين ذكرهم الله عز وجل في التنزيل، فقال: {والذين اتبعوهم بإحسان} [التوبة: 100]..." [23]

وتحدث الإمام الحافظ ابن منده عن أثر المحدثين في حفظ السنة النبوية على الرغم في تفاوتهم في العلم، فقال:

"وكذلك أفهام حملة العلم من السنن والآثار متفرقة وإراداتهم متفاوتة وهممهم إلى التباين مصروفة وطبقاتهم فيما حملوه غير متساوية، فطائفة منهم قصدت حفظ الأسانيد من الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين ندب الله جل وعز إلى الاقتداء بهم فاشتغلت بتصحيح نقل الناقلين عنهم ومعرفة المسند من المتصل والمرسل من المنقطع والثابت من المعلول والعدل من المجروح والمصيب من المخطئ والزائد من الناقص فهؤلاء حفاظ العلم والدين النافون عنه تحريف غال وتدليس مدلس وانتحال مبطل وتأويل جاحد ومكيدة ملحد فهم الذين وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا لهم وأمرهم بالإبلاغ عنه فهذه الطائفة هم الذين استحقوا أن يقبل ما جوزوه وأن يرد ما جرحوه وإلى قولهم يرجع عند ادعاء من حرف وتدليس مدلس ومكيدة ملحد وكذلك إلى قولهم يرجع أهل القرآن في معرفة أسانيد القراءات

[23] الرامهرمزي: " المحدث الفاصل بين الراوي والواعي"، ص 162.

والتفسير لمعرفتهم بمن حضر التنزيل من الصحابة ومن لحقهم من التابعين وقرأ عليهم وأخذ عنهم ولعلمهم بصحة الإسناد الثابت من السقيم والراوي العدل من المجروح والمتصل من المرسل...". [24]

ويضيف الإمام النووي أيضاً: "ولقد كان أكثر اشتغال العلماء بالحديث في الاعصار الخاليات حتى لقد كان يجتمع في مجلس الحديث من الطالبين الوف متكاثرات فتناقص ذلك وضعفت الهمم فلم يبق الا آثار من آثارهم قليلات والله المستعان على هذه المصيبة وغيرها من البليات وقد جاء في فضل احياء السنن المماتات احاديث كثيرة معروفات مشهورات فينبغي الاعتناء بعلم الحديث والتحريض عليه لما ذكرنا من الدلالات ولكونه ايضا من النصيحة لله تعالى وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم وللائمة والمسلمين والمسلمات وذلك هو الدين كما صح عن سيد البريات صلوات الله وسلامة عليه وعلى آله وصحبه وذريته وازواجه الطاهرات ولقد احسن القائل من جمع ادوات الحديث استنار قلبه واستخرج كنوزه الخفيات وذلك لكثرة فوائده البارزات والكامنات وهو جدير بذلك فانه كلام افصح الخلق ومن اعطي جوامع الكلمات صلى الله عليه وسلم صلوات متضاعفات". [25]

يقول الإمام ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه "فتح الباري" عن أهمية الاشتغال بالسنة النبوية : " إن أولى ما صرفت فيه نفائس الأيام وأعلى ما خص بمزيد الاهتمام الاشتغال بالعلوم الشرعية المتلقاة عن خير البرية ولا يرتاب عاقل في أن مدارها على كتاب الله المقتفى وسنة نبيه المصطفى وأن باقي العلوم أما الات لفهمهما وهي الضالة المطلوبة أو أجنبية

---

[24] أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: 395هـ): " رسالة في فضل الأخبار وشرح مذاهب أهل الآثار وحقيقة السنن"، المحقق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي الناشر: دار المسلم – الرياض الطبعة: الأولى، 1414هـ، ص 29.

[25] أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ): "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، 1392، 1/ 4.

عنهما وهي الضارة المغلوبة وقد رأيت الإمام أبا عبد الله البخاري في جامعه الصحيح قد تصدى للاقتباس من انوارهما البهية تقريرا واستنباطا وكرع من مناهلهما الروية انتزاعا وانتشاطا ورزق بحسن نيته السعادة فيما جمع حتى اذعن له المخالف والموافق وتلقى كلامه في التصحيح بالتسليم المطاوع والمفارق".[26]

ويبين الدكتور مصطفى البغا إن السنة هي المصدر التشريعي الثاني – من المصادر المتفق عليها لدى المسلمين – بعد كتاب الله عز وجل فهي أصل من أصول الدين وأساس للتشريع ودليل رئيس من أدلة الأحكام، إذ تبين لنا حكم الله سبحانه وتعالى في كل كبير وصغير فهي جامعة مانعة عامة شاملة لا تفوتها شاردة ولا واردة إلا وقد بينت حكمها الشرعي، وفيها بيان لما كان وما سيكون، وفيها تنظيم عملي رائع لشؤون الحياة مستوحى عن الله تعالى، ومن يحيا ومرتبط بمالك الملك والملكوت الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. فقلما تحدث حادثة أو تنزل نازلة إلا ونجد في السنة المطهرة الحكم الشافي والبيان الوافي لها. وذلك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المبلغ عن ربه {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾} (المائدة: 67). [27]

---

[26] أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: " فتح الباري شرح صحيح البخاري"، الناشر: دار المعرفة – بيروت، 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، 1/ 3.

[27] تنظر: [[مقدمة د مصطفى البغا]] في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ عدد الأجزاء: 9 [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج، ومتن مرتبط بشرحيه فتح الباري لابن رجب ولابن حجر] مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق كالتالي: رقم الحديث (والجزء والصفحة) في ط البغا، يليه تعليقه، ثم أطرافه، الجزء الأول.

ويضيف الدكتور مصطفى البغا أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبين لمراد الله عز وجل فيما أنزل {أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾} {النحل 44}. فالسنة المطهرة تأكيد لما بين كتاب الله من أحكام، وتفصيل لما أجمل وتقييد لما أطلق وتخصيص لما هو عام أو تشريع لما سكت عنه القرآن، ولكنه تطبيق لقواعده العامة وأصوله المقررة ومستمد منه ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو المظهر العملي لشريعة الله تعالى فهو المكلف الأول {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾} (الأنعام 163). {وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾} (الأعراف 143). وهو القدوة الصالحة {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} (الأحزاب: 21). وهو الذي يتلقى الوحي من السماء {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾} (النجم 3 – 4). وقد أدبه ربه فأحسن تأديبه وهو الذي قذف الله النور في قلبه وأجرى الحق على لسانه وجعل طاعته من طاعته ومعصيته معصية له سبحانه {مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾} (النساء 80). [28]

ويؤكد الدكتور البغا أن السنة المطهرة في مجمل أحكامها وتشريعاتها – من حيث وجوب العمل بها – بمنزلة كتاب الله تعالى فما ثبت فيها فهو ثابت بوحي من الله سبحانه وأمر منه وتكليف {مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ} (الحشر 7). فلا بد للمسلمين من الرجوع إلى ما نقل عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعل أو تقرير والأخذ بما ثبت منه ليعمل به. ولقد بذل السلف الصالح من العلماء جهودا كبيرة في خدمة دين الله عز وجل فدونوا لنا أحاديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مصنفات تنوعت أساليبها واختلف شروطها وكان من أفضها وأصحها [الجامع الصحيح] لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الذي تلقته الأمة بالقبول وأولته عناية الدراسة والتقرير وتناولته بالشرح تارة والاختصار

[28] تنظر مقدمة الدكتور مصطفى البغا.

تارة أخرى. واقبل عليه طلاب العلم يقرؤون متنه ويحفظونه عن ظهر قلب. ولا غرابة فهو المرجع الثاني – بعد كتاب الله عز وجل – في دين الله تعالى وهكذا نجد المدارس والجامعات في العالم الإسلامي ما زالت تعنى به دراسة وحفظا وبعضها تقرره في مناهجها ليقرأ من أوله إلى آخره في مختلف صفوفها. واسم صحيح البخاري كما سماه مصنفه (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه)". [29]

[29] تنظر مقدمة الدكتور مصطفى البغا.

المبحث الثالث

مدخل إلى مصادر السنة النبوية

صحيح البخاري أنموذجاً

كتابة السنة النبوية:

يبين الشيخ عبد الكريم الخضير أن السنة محفوظة بحفظ القرآن؛ لأنه لا يتم فهم القرآن إلا ببيان النبي –عليه الصلاة والسلام– بقوله أو فعله أو تقريره، فحفظ السنة من حفظ القرآن. وللاهتمام –اهتمام النبي –عليه الصلاة والسلام– بشأن القرآن، والخوف من اختلاطه بغيره، حتى يتم حفظه الموعود به، نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة الحديث في أول الأمر. جاء في الصحيح في حديث أبي سعيد: "لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، ومن كتب شيئاً غير القرآن فليمحه"، [مخرج في الصحيح، في صحيح مسلم]. وأهل العلم فهموا ذلك على وجوه، مدارها على خشية اختلاط القرآن بغيره، فالنهي عن كتابة السنة مع القرآن، في صفحة واحدة، وحينئذ يلتبس الأمر، فيختلط القرآن بغيره، ولا مانع على هذا القول من كتابة السنة مستقلة عن القرآن. ومنهم من يقول: في أول الأمر، والحافظة –ملكة الحفظ– عند الجيل الأول تسعف على حفظ جميع السنة، ثم بعد ذلكم لما حصل الخوف من ضياع السنة أذن

بالكتابة، فالشخص الذي لا يحفظ يكتب، وإذا تأملنا الآثار المترتبة على الكتابة -وكل إنسان يدرك ذلك- عرفنا أن النهي عن الكتابة في أول الأمر له حكمة عظيمة. [30]

ويضيف الشيخ عبد الكريم الخضير أن الناس تتابعوا على الكتابة، وأجمع أهل العلم على جوازها، وارتفع الخلاف السابق، بل وجد من يمنع الكتابة استدلالاً بحديث أبي سعيد من المتقدمين، تتابع الناس على الكتابة، ودونت الأحاديث في الصحف والكتب، وحصل بذلك خير عظيم، وتنوع الحفظ عند أهل العلم، فمنه ما هو حفظ صدر، ومنه ما هو حفظ كتاب، وإن اختلف بعض أهل العلم في الاعتماد على حفظ الكتاب وجعلوا الأصل حفظ الصدر، لكن حصل الاتفاق على أن حفظ الكتاب لا يقل أهمية عن حفظ الصدر إن لم يكن أقوى منه وأثبت. [31]

ويذكر الدكتور نور الدين عتر أن تدوين السنة النبوية مر بالمراحل التاريخية الاتية:

-الدور الأول: دور النشوء.

-الدور الثاني: وهو دور التكامل.

-الدور الثالث: دور التدوين لعلوم الحديث مفرقة.

-الدور الرابع: عصر التآليف الجامعة وانبثاق فن علوم الحديث مدونا.

-الدور الخامس: دور النضج والاكتمال في تدوين فن "علوم الحديث".

-الدور السادس: عصر الركود والجمود.

---

[30] عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير: " كيف يستفيد طالب العلم من كتب السنة"، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – درسان]، 1/ 1.

[31] عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير: " كيف يستفيد طالب العلم من كتب السنة"، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – درسان]، 1/ 2.

-الدور السابع: دور اليقظة والتنبه في العصر الحديث. [32]

وفي الدور الرابع، أي " عصر التآليف الجامعة وانبثاق فن علوم الحديث مدونا" يذكر الدكتور نور الدين عتر المؤلفات الاتية:

"المحدث الفاصل بين الراوي والواعي" ألفه القاضي أبو محمد الرامهرمزي الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد المتوفى سنة 360.

"الكفاية في علم الرواية" للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي المتوفى سنة 463 هـ.

"الإلماع في أصول الرواية والسماع"، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة 544 هـ وهو كتاب مفيد جدا.

وفي هذا الدور وضعت التآليف الجامعة لأنواع الحديث ونما التدوين في فن "علوم الحديث". ومن أهم ما صنف فيه إذ ذاك:

"معرفة علوم الحديث" للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري المتوفى سنة 405 هـ بحث فيه اثنين وخمسين نوعا من علوم الحديث. وقد طبع في مصر سنة 1937.

"المستخرج" لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى سنة 430 هـ زاد فيه على الحاكم أشياء فاتته، لذلك سماه مستخرجا. ومع ذلك فقد تركا أشياء للمتعقب.

"ما لا يسع المحدث جهله" للميانجي أبي حفص عمر بن عبد المجيد المتوفى سنة 580 هـ وهو رسالة مختصرة.

---

[32] الدكتور نور الدين عتر: " منهج النقد في علوم الحديث"، الفصل الثاني: "أدوار علوم الحديث النبوي"، ص 36 وما بعد.

وكان من أبرز الأعلام الذين شيدوا بنيان علوم الحديث في هذا الدور واعتمد عليهم من جاء بعدهم: الحاكم النيسابوري والخطيب البغدادي. [33]

وفي الدور الخامس، (دور النضج والاكتمال في تدوين الحديث النبوي)، يذكر الدكتور نور الدين عتر أن من أهم المؤلفات في هذا الدور بعد علوم الحديث:

"الإرشاد" للإمام يحيى بن شرف النووي سنة (676) هـ لخص فيه كتاب ابن الصلاح ثم لخصه في كتاب "التقريب والتيسير لأحاديث البشير النذير."

"التبصرة والتذكرة" منظومة في ألف بيت للإمام الحافظ عبد الرحيم بن الحسين المتوفى سنة (806) هـ ضمنها كتاب ابن الصلاح وتعقبه، وزاد عليه مسائل نافعة، ثم شرحها شرحا قيما.

شرح للحافظ العراقي أيضا وضعه على كتاب ابن الصلاح: "التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح" ويسمى أيضا "النكت". علق عليه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ تعليقات نافعة.

شرح الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة (852) هـ "الإفصاح على نكت ابن الصلاح". [34]

ولذلك نجد أن علم الحديث النبوي مر بالعديد من المحطات المهمة خصوصاً في مجال صياغة المصطلحات الحديثية، يقول الامام النووي: "ومن أهم أنواع العلوم تحقيق معرفة الأحاديث النبويات أعني معرفة متونها صحيحها وحسنها وضعيفها متصلها ومرسلها ومنقطعها ومعضلها ومقلوبها ومشهورها وغريبها وعزيزها متوارتها وآحادها وافرادها معروفها

---

[33] الدكتور نور الدين عتر: " منهج النقد في علوم الحديث"، ص 63 – 64 وما بعد.

[34] الدكتور نور الدين عتر: " منهج النقد في علوم الحديث"، ص 67.

وشاذها ومنكرها ومعللها وموضوعها ومدرجها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومجملها ومبينها ومختلفها، وغير ذلك من أنواعها المعروفات ومعرفة علم الأسانيد أعني معرفة حال رجالها وصفاتهم المعتبرة، وضبط أسمائهم وأنسابهم ومواليدهم ووفياتهم، وغير ذلك من الصفات ومعرفة التدليس والمدلسين وطرق الاعتبار والمتابعات، ومعرفة حكم اختلاف الرواة في الأسانيد والمتون والوصل والإرسال والوقف والرفع والقطع والانقطاع وزيادات الثقات ومعرفة الصحابة والتابعين واتباعهم، واتباع اتباعهم ومن بعدهم رضى الله عنهم وعن سائر المؤمنين والمؤمنات وغير ما ذكرته من علومها المشهورات...". [35]

ويقول الإمام النووي: "ودليل ما ذكرته أن شرعنا مبني على الكتاب العزيز والسنن المرويات وعلى السنن مدار أكثر الأحكام الفقهيات، فإن أكثر الآيات الفروعيات مجملات وبيانها في السنن المحكمات، وقد اتفق العلماء على أن من شرط المجتهد من القاضي والمفتي أن يكون عالما بالأحاديث الحكميات، فتبين بما ذكرناه أن الانشغال بالحديث من أجل العلوم الراجحات، وأفضل أنواع الخير وآكد القربات، وكيف لا يكون كذلك وهو مشتمل مع ما ذكرناه على بيان حال أفضل المخلوقات عليه من الله الكريم أفضل الصلوات والسلام والتبريكات". [36]

ويضيف الدكتور نور الدين عتر إلى ما تقدم" "فتح المغيث شرح ألفية العراقي في علم الحديث"، للحافظ مس الدين محمد السخاوي المتوفى سنة (902) هـ. امتاز بتحقيق وتتبع للمسائل في كتب السنة وعلوم الحديث، طبع في الهند في مجلد ضخم.

---

[35] أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ): "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، 1392، 1/ 3 – 4.

[36] النووي: "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، 1/ 4.

" – تدريب الراوي شرح تقريب النواوي" للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة (911) هـ. ويغلب عليه طابع الجمع وإن كان لا يخلو من مناقشات مفيدة.

" –نخبة الفكر" وشرحه "نزهة النظر" كلاهما للحافظ ابن حجر. [37]

أهمية صحيح البخاري:

صحيح الإمام البخاري من أهم كتب السنة النبوية والحديث النبوي، بل هو أهمهما على الإطلاق، وتتمثل أهمية صحيح البخاري في كلمات العلماء الأعلام الأجلاء الذين اشتغلوا على هذا الكتاب شرحاً ودراسة وتدريساً ورواية عبر التاريخ، ومن هذه الشهادات العلمية.

يبين الإمام النووي أن أصح مؤلف في الحديث بل في العلم مطلقاً الصحيحان للإمامين القدوتين أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رضى الله عنهما فلم يوجد لهما مثيل في المصنفات، فينبغي أن يهتم بشرحهما وأن تذاع فوائدهما، وأن يهتم باستخراج دقائق المعلوم من متونهما وأسانيدهما. [38]

يقول الدكتور نور الدين عتر عن فضل ومكانة الإمام البخاري في علم الحديث: "جاء البخاري فرأى إفراد الحديث الصحيح وأن يرتب على الأبواب لتسهيل الوصول إليه وتسهيل الفقه فيه، فوضع كتابه الجامع الصحيح. وجاء بقية السنة وهم –عدا النسائي– من تلامذته فوضعوا كتبهم على الأبواب، وراعوا حسن الاختيار، وإن كان أصحاب السنن لم يشترطوا الصحة،

---

[37] الدكتور نور الدين عتر: " منهج النقد في علوم الحديث"، ص 67 – 68.

[38] النووي: "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، 1392، 1/ 4.

وهكذا كان لمدرسة البخاري الفضل العظيم على السنة بما صنفت في رواية الحديث وفي علوم الحديث ثم تبع الشيخين في اشتراط الصحة ابن خزيمة "311 هـ". ثم ابن حبان "354 هـ". [39]

يقول الإمام الخطابي: "وإن جماعة من إخواني ببلخ كانوا سألوني عند فراغي لهم من إملاء كتاب (معالم السنن) لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني –رحمه الله– أن أشرح لهم كتاب الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري –رحمه الله– وأن أفسر المكل من أحاديث وأبين الغامض من معانيها، وذكروا أن الحاجة إليه كانت أمس، والمؤنة على الناس فيه أشد، فتوقفت إذ ذاك عن الإجابة إلى ما التمسوه من ذلك، إذ كنت أستصعب الخطة وأستبعد فيه الشقة، لجلالة شأن هذا الكتاب فإنه كما قيل: (كل الصيد في جوف الفرا) ولما يشتمل عليه من صعاب الأحاديث، وعضل الأخبار في أنواع العلوم المختلفة التي قد خلا عن أكثرها كتاب المعالم". [40]

ويضيف الإمام الخطابي: "إذ كان معظم القصد من أبي داود في تصنيف كتابه ذكر السنن والأحاديث الفقهية، وغرض صاحب هذا الكتاب إنما هو ذكر ما صح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من حديث في جليل من العلم أو دقيق، ولذلك أدخل فيه كل حديث صح عنده في تفسير القرآن، وذكر التوحيد والصفات، ودلائل النبوة ومبدأ الوحي وشأن المبعث، وأيام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحروبه ومغازيه، وأخبار القيامة والحشر، والحساب، والشفاعة وصفة الجنة والنار، وما ورد منها في ذكر القرون الماضية، وما جاء

---

[39] الدكتور نور الدين عتر: " منهج النقد في علوم الحديث"، ص 61.

[40] ينظر: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت 388 هـ): " أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)"، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1988 م، 1/ 101- 102.

من الأخبار في المواعظ والزهد والرقاق، إلى ما أودعه بعدُ من الأحاديث في الفقه والأحكام والسنن، والآداب، ومحاسن الأخلاق، وسائر ما يدخل في معناها من أمور الدين، فأصبح هذا الكتاب كنزا للدين، وركازا للعلوم، وصار بجودة نقده وشدة سبكه حكما بين الأمة فيما يراد أن يعلم من صحيح الحديث وسقيمه، وفيما يجب أن يعتمد ويعول عليه منه، ثم إني فكرت بعد فيما عاد إليه أمر الزمان في وقتنا هذا من نضوب العلم، وظهور الجهل، وغلبة أهل البدع، وانحراف كثير من أنشاء الزمان إلى مذاهبهم وإعراضهم عن الكتاب والسنة، وتركهم البحث عن معانيهما، ولطائف علومهما، ورأيتهم حين هجروا هذا العلم وبخسوا حظا منه ناصبوه وأمعنوا في الطعن على أهله فكانوا كما قال الله عز وجل: {وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾} (الأحقاف: 11). [41]

ووجدتهم قد تعلقوا بأحاديث من متشابه العلم قد رواها جامع الكتاب وصححها من طريق السند، والنقل، لا يكاد يعرف عوام رواة الحديث وجوهها ومعانيها، إنما يعرف تأويلَها الخواصُّ منهم، الراسخون في العلم، المتحققون به، فهم لا يزالون يعترضون بها عوام أهل الحديث، والرجل والضعفة منهم، فإذا لم يجدوا عندهم علما بها ومعرفة بوجوهها اتخذوهم سلما إلى ما يريدون من ثلب جماعة أهل الحديث والوقيعة فيهم، ورموهم عند ذلك بالجهل وسوء الفهم، وزعموا أنهم مقلدون يروون ما لا يدرون، وإذا سئلوا عنه وعن معانيه ينقطعون ويسمونهم من أجل ذلك حمالة الحطب وزامل [وزوامل] الأسفار ونحوهما من ذميم الأسماء والألقاب فكم غُمر يغتر بهم من الأغمار، والأحداث الذين لم يخدموا هذا الشأن ولم يطلبوه حق طلبه، ولم يعضوا في علمه بناجذ فيصير ذلك سببا لرغبتهم عن السنن وزهدهم فيها، فيخرج كثير من أمر الدين عن أيديهم وذلك بتسويل الشيطان لهم ولطيف مكيدته فيهم، وتخوفت أن يكون

---

[41] 102 – 103.

الأمر فيما يتأخر من الزمان أشد والعلم فيه أعز لقلة عدد من أراه اليوم يُعنَى بهذا الشأن ويهتم به اهتماما صادقا، ويبلغ فيه من العلم مبلغا صالحا. [42]

ويبين الإمام بدر الدين الدماميني في مقدمة كتابه: "مصابيح الجامع" أهمية صحيح البخاري، فيقول: " أما بعد: فهذه نكت ساطعة الأنوار، عالية المقدار، ماحية ظلم المشكلات البهيمة، هادية إلى أوضح الطرق المستقيمة، جمعتها على "الجامع الصحيح" للإمام العلامة حافظ الإسلام مولانا أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري – رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه– سميتها ب: مصابيح الجامع، وعلقتها على أبواب منه ومواضع، وفرقت كثيرا منها في زواياه؛ ليستعين بها الناظر على استخراج خباياه، فدونكها مصابيح تحسدها الثريا، وتبدو لمجتلي محاسنها مشرقة المحيا، تحتوي على غريب رأيته أهلا لأن يأنس بتفسيره، وإعراب تفتقر أعجاز الكلمات إلى صدوره، وفائدة بيانية يشهد الذوق السليم بحلاوة مجانيها، ويدهش أهل البيان لبديع معانيها، ودليل يحتمله متن الحديث، وفرع غريب قل من ذكره من قديم وحديث، وتنبيه طالما كانت العيون عنه وسنة، ونكت هي في وجه هذا التأليف". [43]

ويقول الإمام شمس الدين البرماوي في بيان أهمية صحيح البخاري: "فلما كان كتاب "الجامع الصحيح من حديث سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –" من تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري –رحمه الله– أصح كتاب جمع في الوحي بعد القرآن، وأسند أسانيد باتفاق الحفاظ أهل الإتقان، هذا مع ما وشحه به من استنباط علوم وفوائد تجل

---

[42] ينظر: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي: " أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)"، 1/ 103.

[43] محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالدماميني، وبابن الدماميني (المتوفى: 827 هـ): " مصابيح الجامع"، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب الناشر: دار النوادر، سوريا الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، 1/ 6.

عن الانحصار، ومن مقالات الصحابة فمن بعدهم من العلماء، والإشارة إلى مداركها الغزار، فعم فضله وبركته الأمصار والأقطار على توالي الأزمان وتمالي الأعصار، عني بشرحه والكلام عليه متنا وإسنادا أئمة الأمة، وخدموه بعلومهم الجمة أحسن خدمة، كل يروم الظفر بجواهر علومه، والتقاط درر منطوقه ومفهومه، ما بين مختصر ومطول، ومتوسط فيما عليه يعول، كل منهم يرى أنه سلك طريق السوا، ولكل منهم أجر عمله بقدر ما نوى". [44]

ويقول الإمام ابن الملقن عن صحيح البخاري: "وبعد، فهذه نبذه مهمه، وجواهر جمة، أرجو نفعها وذخرها، وجزيل ثوابها وأجرها، على صحيح الإمام أمير المؤمنين أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، سقى الله ثراه، وجعل الجنة مأواه، الذي هو أصح الكتب بعد القرآن، وأجلها، وأعظمها، وأعمها نفعا بعد الفرقان". [45]

وينقل الدكتور نور الدين عتر إجماع الأمة على إمامة الإمام البخاري وعلو قدره، فيقول: " وقد أجمعت الأمة على إمامة محمد بن إسماعيل البخاري في الحديث، وأثني عليه الناس، وكان رؤساء الحديث يقضون له على أنفسهم في النظر والمعرفة بالحديث"، وينقل عن الأئمة المحدثين أقوالهم عن الإمام البخاري:

قال الامام أحمد بن حنبل: «ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل.«

---

[44] شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (المتوفى: 831 هـ): " اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح"، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب الناشر: دار النوادر، سوريا الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م، 1/ 3 -4.

[45] ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ): " التوضيح لشرح الجامع الصحيح"، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، 2/ 9.

وقال له الامام مسلم بن الحجاج: «أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك.«

وحسبنا قول الحاكم فيه: «هو إمام أهل الحديث بلا خلاف بين أهل النقل». [46]

أهمية صحيح مسلم:

تقدم كلام الإمام النووي سابقاً في أن صحيح البخاري وصحيح الإمام مسلم هما من أصح الكتب وأصح المؤلفات في العلم. وقد اشتغل الإمام النووي على شرح صحيح الإمام مسلم، وكان شرحه من أهم الشروحات الحديثية.

يذكر الإمام النووي أن جمع شرحاً مجملاً لصحيح البخاري، مشتملاً على نفائس من أنواع العلوم بعبارات وجيزة، وهو مستمر في شرحه، راجياً من الله الحكيم أن يوفقه في إتمامه. وأما صحيح مسلم رحمه الله فقد استخار الله تعالى الكريم الرؤف الرحيم في جمع كتاب لشرحه متوسط بين المختصرات والمبسوطات لا من المختصرات المخلات ولا من المطولات المملات وبسبب ضعف الهمة وقلة الراغبين وخوف عدم انتشار الكتاب لقلة الطالبين للمطولات لكان الكتاب بما يزيد على مائة من المجلدات، من غير تكرار ولا زيادات لا داعي لها، بل ذلك بسبب فوائده وعظم عوائده المخفية والبارزة، وهو مستحق لذلك، فإنه كلام أفصح المخلوقات رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنه اقتصر على التوسط وحرص على ترك الإطالة وآثر الاختصار في كثير من الحالات. [47]

---

[46] نور الدين محمد عتر الحلبي: " الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح"، الناشر: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية – الكويت. – عدد 4 – سنة 1406 هـ – 1985م، ص 66.

[47] النووي: "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، 1/ 5.

وفي شرحه لصحيح مسلم ذكر النووي في الشرح جملاً من علومه الزاهرات من أحكام الأصول والفروع والآداب والإشارات الزهديات وبيان نفائس من أصول القواعد الشرعيات وايضاح معانى الألفاظ اللغوية وأسماء الرجال وضبط المشكلات، وبيان اسماء ذوى الكنى واسماء آباء الابناء والمبهمات والتنبيه على لطيفة من حال بعض الرواة وغيرهم من المذكورين في بعض الأوقات، واستخراج لطائف خفية من علم الحديث من المتون والأسانيد ، وضبط جمل من الاسماء المؤتلفات والمختلفات والجمع بين الأحاديث التي تختلف ظاهراً ويظن البعض من لا يحقق صناعتي الحديث والفقه وأصوله كونها متعارضة، وأنبه على ما يحضر في الحال في الحديث من المسائل العمليات، مع الإشارة إلى الأدلة في كل ذلك إشارات الا في مواطن الحاجة إلى البسط للضرورة، والحرص في جميع ذلك على الإيجاز وايضاح العبارات ونقل شيء من أسماء الرجال واللغة وضبط المشكل والأحكام والمعاني وغيرها من المنقولات فإن كان مشهورا لا يضاف إلى قائليه لكثرتهم إلا نادراً لبعض المقاصد الصالحات وان كان غريباً أضيف إلى قائليه إلا في بعض المواطن لطول الكلام او كونه مما تقدم بيانه من الأبواب الماضية. [48]

ومن منهج الإمام النووي في شرح صحيح مسلم أنه اذا تكرر الحديث أو الاسم أو اللفظة من اللغة ونحوها بسط المقصود منه في أول مواضعه، وإذا مر على الموضع الآخر ذكر أنه تقدم شرحه وبيانه في الباب الفلاني من الأبواب السابقات وقد يقتصر على بيان تقدمه من غير إضافة أو يعيد الكلام فيه لبعد الموضع الأول أو ارتباط كلام أو نحوه أو غير ذلك من المصالح المطلوبات ويقدم في أول الكتاب جملاً من المقدمات مما يعظم النفع به

[48] النووي: "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، 1/ 5.

ان شاء الله تعالى ويحتاج إليه طالبو التحقيقات ويرتب ذلك في فصول متتابعات ليكون أسهل في مطالعته وابعد من الملل مستمداً المعونة والصيانة واللطف والرعاية من الله. [49]

ويختم الإمام النووي مقدمته بالدعاء، فيقول: "الكريم رب الارضين والسموات مبتهلا إليه سبحانه وتعالى أن يوفقني ووالدي ومشايخي وسائر أقاربي وأحبابي، ومن أحسن الينا بحسن النيات، وأن ييسر لنا الطاعات وأن يهدينا لها دائما في ازدياد حتى الممات، وأن يجود علينا برضاه ومحبته ودوام طاعته والجمع بيننا في دار كرامته وغير ذلك من أنواع المسرات وأن ينفعنا أجمعين ومن يقرأ في هذا الكتاب به وأن يجزل لنا المثويات، وأن لا ينزع منا ما وهبه لنا ومن به علينا من الخيرات، وأن لا يجعل شيئا من ذلك فتنة لنا، وأن يعيذنا من كل شيء من المخالفات، إنه مجيب الدعوات جزيل العطيات، اعتصمت بالله توكلت على الله ما شاء الله لا قوة الا بالله لا حول ولا قوة الا بالله وحسبي الله ونعم الوكيل وله الحمد والفضل والمنة والنعمة وبه التوفيق واللطف والهداية والعصمة". [50]

يقول الإمام مسلم في مقدمة كتابه:

"أما بعد، فإنك يرحمك الله بتوفيق خالقك، ذكرت أنك هممت بالفحص عن تعرف جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنن الدين وأحكامه، وما كان منها في الثواب والعقاب، والترغيب والترهيب، وغير ذلك من صنوف الأشياء بالأسانيد التي بها نقلت، وتداولها أهل العلم فيما بينهم، فأردت، أرشدك الله أن توقف على جملتها مؤلفة محصاة، وسألتني أن ألخصها لك في التأليف بلا تكرار يكثر، فإن ذلك زعمت مما يشغلك عما له

---

[49] النووي: "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، 1/ 5.

[50] النووي: "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، 1/ 6.

قصدت من التفهم فيها، والاستنباط منها، وللذي سألت أكرمك الله حين رجعت إلى تدبره، وما تؤول به الحال إن شاء الله عاقبة محمودة ومنفعة موجودة". [51]

ويضيف الإمام مسلم: "وظننت حين سألتني تجشم ذلك أن لو عزم لي عليه، وقضي لي تمامه، كان أول من يصيبه نفع ذلك إياي خاصة قبل غيري من الناس لأسباب كثيرة يطول بذكرها الوصف، إلا أن جملة ذلك أن ضبط القليل من هذا الشأن، وإتقانه، أيسر على المرء من معالجة الكثير منه، ولا سيما عند من لا تمييز عنده من العوام، إلا بأن يوقفه على التمييز غيره، فإذا كان الأمر في هذا كما وصفنا، فالقصد منه إلى الصحيح القليل أولى بهم من ازدياد السقيم، وإنما يرجى بعض المنفعة في الاستكثار من هذا الشأن، وجمع المكررات منه لخاصة من الناس ممن رزق فيه بعض التيقظ، والمعرفة بأسبابه وعلله، فذلك إن شاء الله يهجم بما أوتي من ذلك على الفائدة في الاستكثار من جمعه، فأما عوام الناس الذين هم بخلاف معاني الخاص من أهل التيقظ والمعرفة، فلا معنى لهم في طلب الكثير، وقد عجزوا عن معرفة القليل". [52]

---

[51] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1/ 3.

[52] مسلم بن الحجاج: "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، 1/ 3.

الفصل الثاني

دراسات في الحديث النبوي

المبحث الأول

(وما نهيتكم عنه فانتهوا)

تخريج الحديث:

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه فانتهوا وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم"، قال ابن عجلان: فحدثت به أبان بن صالح فقال لي: ما أجود هذه الكلمة قوله: "فأتوا منه ما استطعتم". [53]

---

[53] محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م، 1/ 198، وانظر: ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ): " سنن ابن ماجه"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، 1/ 3، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): " السنن الكبرى"، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م، 7/ 165، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): " المسند"، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، صححت هذه النسخة: على النسخة المطبوعة في مطبعة بولاق الأميرية والنسخة المطبوعة في بلاد الهند، عام النشر: 1400 هـ، 1/ 272، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ): " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، حققه وخرج أحاديثه: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المأمون للتراث، 2/ 467، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: 1378 هـ): "الفتح الرباني

شرح الحديث:

قال الإمام ابن الملقن: "هذا الحديث أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، وقد اختلف في عدها على عشرة أقوال، يسر الله جمعها. أحدها: أنها ثلاثة: هذا الحديث، وحديث " [من] (حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" وحديث "الحلال بيّن والحرام بيِّن." [54]

وقال الحافظ حمزة بن محمد الكناني: سمعت أهل العلم يقولون: هذه الثلاثة أحاديث هي الإسلام، وكل حديث منها ثلث الإسلام. ومن أئمة الإسلام من قال إنها أربعة قاله أبو داود والدارقطني وغيرهما، بزيادة حديثًا "وازهد في الدنيا يحبك الله"، وقال عثمان بن سعيد الدارمي: "أمهات الحديث أربعة هذا أحدها"، وقد نظمها أبو الحسن المعرور فقال:

عمدة الدين عندنا كلمات ... أربع من كلام خير البرية

اتق الشبهات وازهد ... ودع ما ليس يعنيك واعملن بنية

الثالث: أنها اثنان.

لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني"، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، 17/ 66. وانظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): " جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى)"، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة (مفتي الديار المصرية)، طبع على نفقة: د حسن عباس زكي، 13/ 36، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: 975هـ): " كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال"، المحقق: بكري حياني – صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، 1/ 192.

[54] ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ): "الإعلام بفوائد عمدة الأحكام"، المحقق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م، 1/ 153.

ومنهم من قال: إنها واحد.

ونقل أبو بكر الخفاف في كتابه "الخصال" ومنه ينقل ابن الملقن: روي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: "مدار الإسلام على أربعمائة حديث"، "كذا رأيته أربعمائة"، يقول ابن الملقن، ويضيف: "ثم رأيت في "أصول الفقه" لابن سراقة العامري من أصحابنا [يذكر] أربعة أحاديث، وكأنه أصوب". [55]

وقول آخر: قال الخفاف أيضًا لما نقل هذا: وقال علي بن المديني وعبد الرحمن بن مهدي: "أن مداره على أربعة أحاديث "الأعمال بالنيات"، و"لا يحل دم امرئ مسلم إلَّا بإحدى ثلاث"، و"بني الإسلام على خمس"، و"البينة على المدعي واليمين على من أنكر"، وحكاه أيضًا ابن سراقة المذكور.

وقال أيضًا بعد ذلك عن إسحاق أن مداره على ثلاثة: "إنما الأعمال بالنيات"، وحديث عائشة: "من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد"، وحديث النعمان: "الحلال بين والحرام بين"، ونقله غيره عن الإمام أحمد.

وقال أبو داود: الفقه يدور على خمسة أحاديث: "الأعمال بالنيات"، و"الحلال بيِّن والحرام بيِّن"، و "ما نهيتكم عنه فانتهوا وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم"، و"لا ضرر ولا ضرار." [56]

وقول آخر: أسند ابن دحية عن أبي داود من طريق ابن داسة، أنه قال: "كتبت عن رسول الله – صلى الله عليه ومسلم – خمسمائة ألف حديث انتخبت منها. ما ضمنته هذا

---

[55] ابن الملقن: "الإعلام بفوائد عمدة الأحكام"، 1/ 153 – 154.

[56] ابن الملقن: "الإعلام بفوائد عمدة الأحكام"، 1/ 154 – 155.

الكتاب –يعني كتاب السنن– جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمانمائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث أحدها: "الأعمال بالنيات"، ثانيها: "من حسن إسلام [المرء] تركه ما لا يعنيه"، ثالثها: "لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى لا يرضى لأخيه إلَّا ما يرضى لنفسه"، ورابعها: "الحلال بيّن والحرام بيّن"، وحكاه القاضي عياض عن أبي داود ايضًا، ولفظه عنه: "كتبت عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خمسمائة ألف حديث، الثابت منها أربعة آلاف حديث، وهي ترجع إلى أربعة أحاديث، فذكرهن"[57].

ومن الأقوال حول الأحاديث التي عليها مدار الإسلام: أسند ابن دحية أيضًا عن أبي داود من طريق أبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي قال: أقمت بطرسوس عشرين سنة فاجتهدت في المسند فإذا هو أربعة آلاف حديث، ثم نظرت فإذا مدار الأربعة آلاف حديث على أربعة أحاديث لمن وفقه الله، فأولها: حديث النعمان "الحلال بيّن والحرام بيِّن وشبهات بين ذلك" الحديث، قال: وهذا ربع العلم، ثانيها: حديث عمر بن الخطاب: "الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى" وهذا نصف العلم، ثالثها: حديث أبي هريرة: "إن الله طيب لا يقبل إلَّا طيبًا" الحديث، وهذا ثلاثة أرباع العلم، ورابعها، حديث أبي هريرة أيضًا: "من حسن إسلام [المرء] تركه ما لا يعنيه"، فهذه أربعة أحاديث من أخذها ووفقه الله تجزي عن الأربعة آلاف، وقال ابن أبي زيد في آخر رسالته: جماع أبواب الخير وأزمته تتفرع على أربعة أحاديث: حديث: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، وحديث: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"، وحديث: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت"، وحديث "لا تغضب". فتصير الأقوال إذن أحد عشر قولًا، كما ذكر ابن الملقن. [58]

---

[57] ابن الملقن: "الإعلام بفوائد عمدة الأحكام"، 1/ 155 – 156.

[58] ابن الملقن: "الإعلام بفوائد عمدة الأحكام"، 1/ 156.

وذكر الصرصري الحديث عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرةُ مسائِلِهِمْ واختلافُهُمْ على أنبيائهم. رواه البخاري ومسلم. وناقش الصرصري الكلام على هذا الحديث في إسناده ولفظه ومعناه. فقال: أما عن إسناده: فإن أبا هريرة لقب بهرة كان يصحبها إمَّا صغيرًا يلعب بها، أو كبيرًا يحسن إليها، لأنه هو الذي روى أن امرأة عذبت في هرة. فلعله أخذ بقياس العكس، وكان يرجوا الثواب في هرة. واختار الشيخ من أسمائه عبد الرحمن بن صخر، وفيه بضعة عشر قولا، أصحها هذا. وأما لفظه: فقوله: "واختلافهم" مضموم الفاء، لا مكسورها عطفا على كثرة، لا على مسائلهم، أي: أهلكم كثرة مسائلهم وأهلكهم اختلافهم، وهو أكثر بلاغة لأن الهلاك بمسمى الاختلاف ومطلقه أبلغ في الزجر والازدجار من الهلاك بالاختلاف الكثير. [59]

وأما معناه، كما ذكر الصرصري، أن هذا الحديث من الجوامع، وقد شمل أحكامًا: أحدها: وجوب ترك المنهيات لقوله: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه" والأمر باجتنابه للوجوب. والثاني: وجوب فعل المستطاع من المأمورات لقوله: "فأتوا" أي: فافعلوا منه ما استطعتم، والأمر بفعله للوجوب، وهذا راجع إلى قوله عزَّ وجلَّ: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ} [الحشر: 7]. فإن قيل: الآية دالة على وجوب اتباع أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم مطلقًا، ولم يستثن المستطاع من غيره، والحديث المذكور خصَّ المستطاع من ذلك دون غيره، فهذا الحديث مخصص للآية أو مبين لها. قلنا: يحتمل أن يقال هذا، ويحتمل أن يقال: إن الآية

[59] سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: 716 هـ): " التعيين في شرح الأربعين"، المحقق: أحمد حَاج محمّد عثمان، الناشر: مؤسسة الريان (بيروت – لبنان)، المكتَبة المكيّة (مكّة – المملكة العربية السعودية)، الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1998 م، ص 110.

المذكورة خُصَّت بقوله عزَّ وجلَّ {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: 16] والتقوى تشتمل على جميع المأمورات فصار ذلك في قوة قوله: ما آتاكم به فافعلوا منه ما استطعتم، ثم جاء هذا الحديث موافقا لهذه الآية، كما جاء قوله في حديث جبريل: "وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" موافقا لقوله عزَّ وجلَّ {مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران: 97].[60]

ويضيف الصرصري: فإن قيل: ما الفارق بين المأمور به، وبين المنهي عنه حيث سقط التكليف بما لا يستطاع من الأول، دون الثاني؟ فالجواب: لأن ترك المنهي عنه عبارة عن استصحاب حال عدمه والاستمرار على عدمه، وليس في ذلك ما لا يستطاع حتى يسقط التكليف به، بخلاف فعل المأمور به فإنه عبارة عن إخراجه من العدم إلى الوجود، وذلك يتوقف على شروط وأسباب كالقدرة على الفعل ونحوها، وبعض ذلك يستطاع، وبعضه لا يستطاع، فلا جرم سقط التكليف به، لأن الله عزَّ وجلَّ أخبرنا أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها، وهذه رخصة عظيمة في كثير من الأحكام، مثل من لم يجد إلا ما يكفي بعض الوضوء أو الغسل، أو وجد ترابا يكفي بعض التيمم، أو لم يقدر إلا على غسل بعض محل الحديث، أو لم يجد إلا بعض الفطرة، أو لم يقدر أن يصلي إلا جالسًا، أو نائما، أو لا يطوف إلا راكبًا، أو لا يفي من الإيلاء إلا بالقول، وهي فيئة المعذور ونحو ذلك كله يأتي منه بالمستطاع ويسقط غيره هدرًا أو إلى بدل. الثالث في الحديث: تحريم الاختلاف وكثرة المسائل عن غير ضرورة لأنه توعد عليه بالهلاك، والوعيد على الشيء يقتضي تحريمه. أما الاختلاف فلأنه سبب تفرق القلوب وَوَهْنِ الدين كما جرى للخوارج حين تبرأ بعضهم من بعض وهن أمرهم واندحضوا، وذلك حرام، وسبب الحرام حرام. [61]

---

[60] الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين: " التعيين في شرح الأربعين"، ص 111.

[61] الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين: " التعيين في شرح الأربعين"، ص 111- 112.

وأما كثرة السؤال، كما يبين الصرصري، عن غير ضرورة فلأنه مشعر بالإعنات ومفض إليه، وهو أيضًا حرام. وقد نهى النبي – صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، ونهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الأغلوطات، وهي صعاب المسائل. وكان أبي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهما من الصحابة إن سئل أحدهم عن مسألة يقول: أوَقَعت هذه؟ فإن قيل: نعم، قال فيها بعلمه، أو أحال على غيره، وإن قيل: لا، قال: فدعها حتى تقع. وهذا الحكم يرجع إلى قوله عزَّ وجلَّ { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: 103] {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿الأنعام: ١٥٩﴾} [الأنعام: 159] {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾} [الروم: 31 – 32]، الآيات ونحوها والله عزَّ وجلَّ أعلم بالصواب. [62]

فالأول: عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم». متفق عليه. وسبب هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب وقال: «يا أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها مرارا، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لو قلت: نعم. لوجبت، ولما استطعتم»، ثم قال: «دعوني ما تركتكم..» الحديث. وهو من قواعد الإسلام المهمة، قال الله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ}

[62] الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين: " التعيين في شرح الأربعين"، ص 113.

[الحشر (59)]. وقال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [التغابن (16)]، ويستفاد منه: كراهة كثرة المسائل من غير ضرورة. قال مالك رحمه الله تعالى: «المراء والجدال يذهب بنور العلم من قلب الرجل". [63]

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} ﴿النساء: ٥٩﴾ }، " والمعنى: إن اختلفتم أيها المؤمنون في شيء من أمر دينكم، فردوه إلى الله أي فارتادوا معرفة حكم ذلك الذي استجرتم فيه من كتاب الله، فإن لم تجدوا علم ذلك في كتاب الله، فارتادوا معرفة ذلك عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن كان حياً، أو بالنظر في سنته إن كان ميتاً. وحدَّث أبو هريرة – رضي الله عنه – أنه سمعَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم". [64]

ومما جاء عن السلف في ذمّ البدعة: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "تعلموا العلم قبل أن يُقبَض، وقبضه أن يذهب أهله، ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع، وعليكم بالعتيق". أخرجه الدارمي. ذكر الإمام الطبري رحمه الله تعالى في كتاب "آداب النفوس":

---

[63] فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: 1376هـ): " تطريز رياض الصالحين"، المحقق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 1423 هـ – 2002 م، ص 127.

[64] محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير"، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه: محَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق أبو مصعب، الناشر: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض – المملكة الْعَرَبيَّة السعودية، الطبعة: الأولى، 1433 هـ – 2012 م، 1/ 8.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبان، أن رجلًا قال لابن مسعود: "ما الصراط المستقيم، قال: تركنا محمد –صلى الله عليه وسلم– في أدناه، وطرفه في الجنة، وعن يمينه جوادّ، وعن يساره جوادّ، وثَمّ رجال يدعون من مَرَّ بهم، فمن أخذ في تلك الجوادّ انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسعود: {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا} الآية [الأنعام: 153]. وعن أبي هريرة: قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "ما أمرتكم به فخذوه، وما نهيتكم عنه فانتهوا". متّفق عليه. وروى ابن ماجة وغيره عن العرباض بن سارية –رضي الله عنه– قال: وعظنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– موعظة ذَرَفَت منها العيون، ووَجِلَت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فما تعهد إلينا؟ فقال قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة، وعليكم بالطاعة، وإن عبدًا حبشيا، فإنما المؤمن كالْجَمَل الأَنِفِ حيثما قيد انقاد". وأخرجه الترمذي بمعناه، وصححه. قال ابن شهاب: وهذا كقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا} الآية [الأنعام: 159]، فالْهَرَب الْهَرَبَ، والنجاة النجاةَ، والتمسك بالطريق المستقيم، والسنن القويم، الذي سلكه السلف الصالح، وفيه المتجر الرابح. وقال مجاهد في قوله: {وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} قال: "البدع". [65]

وروى أبو داود قال: حدثنا ابن كثير قال: أخبرنا سفيان، قال: كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز، يسأله عن القدر، فكتب إليه: "أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في

[65] محمد بن علي بن آدم بن موسى: "مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه"، الناشر: دار المغني، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1427 هـ – 2006 م، 2/ 43.

أمره، واتباع سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم الجماعة، فإنها لك –بإذن الله– عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها، أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الخطإ والزلل، والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وإنهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه، فقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم: إنما حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، قد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا ما يشفي، فما دونهم من مقصر، وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم مع ذلك لعلى هدى مستقيم. كتبت تسأل عن الإقرار بالقدر، فعلى الخبير –بإذن الله– وقعت، ما أعلم ما أحدث الناس من محدثة، ولا ابتدعوا من بدعة، هي أبين أثرا، ولا أثبت أمرا، من الإقرار بالقدر، لقد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء، يتكلمون به في كلامهم، وفي شعرهم، يعزون به أنفسهم على ما فاتهم، ثم لم يزده الإسلام بعد إلا شدة، ولقد ذكره رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في غير حديث ولا حديثين، وقد سمعه منه المسلمون، فتكلموا به في حياته، وبعد وفاته، يقينا وتسليما لربهم، وتضعيفا لأنفسهم أن يكون شيء لم يحط به علمه، ولم يحصه كتابه، ولم يمض فيه قدره، وإنه مع ذلك لفي محكم كتابه، منه اقتبسوه، ومنه تعلموه، ولئن قلتم: لم أنزل الله آية كذا؟ لم قال كذا؟ لقد قرءوا منه ما قرأتم، وعلموا من تأويله ما جهلتم، وقالوا بعد ذلك كله بكتاب وقدر،

وكتبت الشقاوة، وما يقدر يكن، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا نملك لأنفسنا ضرا ولا نفعا، ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا". [66]

وقول رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "ذروني"، أي اتركوني من السؤال (ما تركتكم) أي المدة التي اترككم فيها، من الأمر بالشيء والنهي عنه فلا تتعرضوا لي بكثرة البحث عما لا يعنيكم في دينكم مهما أنا تارككم لا أقول لكم شيئاً فقد يوافق ذلك إلزاماً وتشديداً وخذوا بظاهر ما أمرتكم ولا تستكشفوا كما فعل أهل الكتاب ولا تكثروا من الاستقصاء فيما هو مبين بوجه ظاهر وإن صلح لغيره لإمكان أن يكثر الجواب المرتب عليه فيضا هي قصة بقرة أهل الكتاب، شددوا فشدد عليهم فخاف وقوع ذلك بأمته ومن ثم علله بقوله "فإنما هلك من كان قبلكم" من أمم الأنبياء بسؤالهم" إياهم عما لا يعنيهم وفي رواية بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم"، ولما كان الأمر كذلك كانوا السبب في تفرق القلوب وضعف الدين واستحقوا به المحن والبلايا والمفهوم من السياق النهي عن السؤال والاختلاف فإن قيل السؤال مأمور به بنص فاسألوا أهل الذكر فكيف يكون الشيء مأموراً منهياً قلت إنما هو مأمور فيما يأذن المعلم في السؤال عنه وهو الذي يعنيه في دينه أو دنياه والمنهي عنه هو السؤال الذي يكثر به النزاع والخصومات وفيما لا يعني من الفضول "مما نهيتكم عنه فاجتنبوه" أي دائماً على كل تقدير ما دام منهياً عنه حتماً في الحرام وندباً في المكروه إذ لا يمتثل مقتضى النهي إلا بترك جميع جزئياته وإلا صدق عليه أنه عاص أو مخالف "ومما أمرتكم به فأتوا منه" وجوباً في الواجب وندباً في المندوب "ما استطعتم" لأن فعله هو إخراجه من العدم إلى الوجود وذلك يتوقف على شرائط وأسباب كالقدرة على الفعل ونحوها وبعضه يستطاع وبعضه لا فلا جرم سقط التكليف

[66] محمد بن علي بن آدم بن موسى: "مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه"، 2/ 43 – 44.

بما لا يستطاع إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها وبدلالة الموافقة له يخص عموم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا. قال العراقي: "متفق عليه من حديث أبي هريرة". [67]

وقد علق القول في رواية الميموني وقد سأله عن قول النبي –صلى الله عليه وسلم "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فانتهوا" 4، فقال: الأمر أسهل من النهي. ويقول أبو يعلى الفراء: "عندي أسهل مما نهى عنه. فقد سهَّل في الأمر وغلَّظ في النهي". ويضيف الفراء: ولعله قصد بهذا أن الأمر أيسر من النهي على معنى أن جماعة قالوا: إطلاق الأمر يقتضي الندب، وإطلاق النهي يقتضي الحظر، وإطلاق الأمر لا يقتضي التكرار، والنهي يقتضي، وهذا قول جمهور الفقهاء. فالدلالة على ما قلنا قوله تعالى: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} ﴿الأعراف: ١٢﴾}. فوجه الدلالة: أن الله تعالى لما أَمَرَ الملائكة بالسجود لآدم استجابوا إلى أمره، فعلم أنهم عقلوا من إطلاقه وجوب امتثال المأمور به، ثم لما امتنع إبليس من السجود وبَّخَهُ وعاقبه وأهبطه من الجنة، فلولا أن ذلك واجب عليه لما استحق العقوبة والتوبيخ بتركه. فإن قيل: يجوز أن يكون ذلك الأمر معه قرينة دلت على المراد به، فلهذا عاقبه بالمخالفة. قيل: لم يذكر في الآية إلا أمرًا مطلقًا، وعلَّق التوبيخ والعقوبة بتركه، فمن ادَّعى أن هناك قرينة فهو محتاج إلى دليل. [68]

---

[67] العِراقي (725 – 806 هـ)، ابن السبكي (727 – 771 هـ)، الزبيدي (1145 – 1205 هـ): " تخريج أحاديث إحياء علوم الدين"، استخراج: أبي عبد الله مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد (1374 هـ –؟)، الناشر: دار العاصمة للنشر – الرياض، الطبعة: الأولى، 1408 هـ – 1987 م، 4/ 1793.

[68] القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: 458هـ): "العدة في أصول الفقه"، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض – جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الناشر: بدون ناشر، الطبعة: الثانية 1410 هـ – 1990 م، 1/ 227 – 228.

ويبين الزركشي أن كلام الشافعي يقتضي أن النهي للتحريم قولاً واحداً حتى يرد ما يصرفه، وأن له في الأمر قولين أرجحهما: أنه مشترك بين الثلاثة أعني الإباحة والوجوب. الثاني: أنه للوجوب، وهو الأقوى دليلا فإنه قال في: أحكام القرآن " فيما جاء من أمر النكاح قال الشافعي – رضي الله عنه – على قوله تعالى: {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ} [النور: 32]: والأمر في الكتاب والسنة وكلام الناس يحتمل معاني: أحدها: أن يكون الله عز وجل حرم شيئا ثم أباحه، كقوله: {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ} [المائدة: 2] وأن يكون دلهم على ما فيه رشدهم كقوله – صلى الله عليه وسلم –: «سافروا تصحوا» وأن يكون حتما، وفي كل حتم من الله الرشد فيجتمع الحتم والرشد". وقال بعض أهل العلم: "الأمر كله للإباحة حتى توجد دلالة من الكتاب أو السنة أو الإجماع على أنه أريد به الحتم فيكون فرضاً". قال الشافعي: "وما نهى الله أو رسوله عنه محرم حتى توجد الدلالة على أن النهي على غير التحريم، وإنما أريد به الإرشاد أو تنزها أو تأدبا. والفرق بين الأمر والنهي من قوله – صلى الله عليه وسلم – «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فانتهوا»، ويحتمل أن يكون الأمر في معنى النهي فيكونان لازمين إلا بدلالة أنهما غير لازمين". انتهى. [69]

وورد في سنن ابن ماجه أن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن أمر لم يحرم فجرم على الناس من أجل مسألته (عن أبي هريرة) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه فانتهوا وما أمرتكم فأتوا منه ما استطعتم"، وعن علي رضي الله عنه: قال: "لما نزلت هذه الآية {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ} قالوا: يا رسول الله أفي

[69] أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ): " البحر المحيط في أصول الفقه"، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، 1414هـ – 1994م، 3/ 287.

كل عام؟ فسكت، فقالوا أفي كل عام؟ فسكت، فقالوا أفي كل عام؟ فقال لا، ولو قلت نعم لو جبت، فأنزل الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} الآية، وورد عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله)). وعن أبي الدرداء قال: خرج علينا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ونحن نذكر الفقر ونتخوفه، فقال: ((آلفقر تخافون؟ والذي نفسي بيده لتصبن عليكم الدنيا صباً، حتى لا يزيغ قلب أحدكم إزاغة إلا هيه، وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء)) قال أبو الدرداء: "صدق والله رسول الله – صلى الله عليه وسلم– تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء." [70]

والحديث دليل على وجوب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم به فخذوه وما نهيتكم عنه فانتهوا"، يحتمل أنه أراد بالسنة ما هو أحد الأدلة والسنة وإجماع الأمة والقياس والسنة بهذا المعنى تشمل قوله صلى الله عليه وسلم الأدلة التي تثبت بها الأحكام الشرعية ويجب على الناس اتباعها واتباع السنة بهذا المعنى هو الأخذ بمقتضاها في تمام الأحكام الدينية من الإباحة والوجوب والحرمة والندب والكراهة، ويحتمل أنه أراد بالسنة الطريقة المسلوكة للنبي صلى الله عليه وسلم أو بالسنة، واتباع السنة بهذا المعنى هو الأخذ بها، والسنة بالمعنى الأول من أقسام الدليل وبالمعنى الثاني هو المدلول، وإن الدين سواء كان ثابتاً بالكتاب أو بالسنة يحتاج طالبه إلى

[70] ابن ماجه – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ): "شرح مقدمة سنن ابن ماجه"، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير/ دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير {الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 12 درسا]، 13/1.

السنة فإن الكتاب بيانه بالسنة لقوله: {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل: 44] وليس لأحد أن يستبد بالكتاب عنها. [71]

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ذروني ما تركتكم" أي: لا تتعرضوا بالسؤال والبحث فقد يوافق ذلك إلزامًا وتشديدًا، وخذوا بظاهر ما أمرتم به ولا تستكشفوا كما فعلت بنو إسرائيل وقد قيل لهم: اذبحوا بقرة، فشق الأمر عليهم. وقوله: "فما أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم ... إلى آخره" يشير إلى أن المأمور قد يستطاع منه الشيء دون الشيء، فينبغي أن يأتي المأمور بالقدر المستطاع؛ وأما المنهي فحقه أن يترك كله فإنه مستطاع، وذكر الشافعي أن الأمر في الكتاب والسنة وكلام الناس قد يكون لإحلال ما حرم من قبل كقوله تعالى: {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ} (المائدة: 2)، وقوله: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ} (الجمعة: 10). وقد تكون دلالة على ما فيه الرشد كقوله تعالى: {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ} (النور: 32)، إلى قوله: {إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ} (النور: 32)، وقد يكون للحتم والإلزام[72].

---

[71] محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: 1138هـ): " حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه"، الناشر: دار الجيل – بيروت، بدون طبعة، 1/ 3.

[72] عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: 623هـ): "شرح مسند الشافعي"، المحقق: أبو بكر وائل محمَّد بكر زهران، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، 1428 هـ – 2007 م، 3/ 387.

المبحث الثاني

(لا ضرر ولا ضرار)

تخريج الحديث:

عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قضى أن لا ضرر ولا ضرار. [73]

وأخرج أحمد عن عبادة بن الصامت قال: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا ضرر ولا ضرار وقضى أنه ليس لعرق ظالم حق.

وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا ضرر ولا ضرار."

سبب: قال عبد الرزاق في المنصف أنا ابن التميمي، عن الحجاج بن أرطاة، أخبرني أبو جعفر أن نخلة كانت بين رجلين فاختصما فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال

---

[73] ابن ماجه – وماجه اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ): " سنن ابن ماجه"، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009 م، 3/ 430، وانظر: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): " سبل السلام"، الناشر: دار الحديث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، 2/ 121.

أحدهما أشققها نصفين بيني وبينك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا ضرر في الاسلام 74"

وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله وعليه وآله وسلم قال: "لا ضرر ولا ضرار" حديث حسن رواه ابن ماجة والدارقطني وغيرهما مسنداً، ورواه مالك في الموطأ مرسلاً عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فأسقط أبا سعيد، وله طرق يقوي بعضها بعضاً." فمن أضر بأخيه فقد ظلمه والظلم حرام كما تقدم في حديث أبي ذر "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام". وأما قوله: "لا ضرر ولا ضرار" فقال بعضهم: هما لفظان بمعنى واحد تكلم بهما جميعاً على وجه التأكيد. [75]

"لا ضرر ولا ضرار". رواه مالك والشافعي عنه عن يحيى المازني مرسلًا، وأحمد وعبد الرزاق وابن ماجه والطبراني عن ابن عباس، وفي سنده: جابر الجعفي، وأخرجه ابن أبي شيبة والدارقطني عنه، وفي الباب عن أبي سعيد وأبي هريرة وجابر وعائشة وغيرهم. [76]

---

[74] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): "اللمع في أسباب ورود الحديث"، بإشراف: مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1416 هـ / 1996 م، 1/ 55.

[75] تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: 702هـ): " شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية"، الناشر: مؤسسة الريان، الطبعة: السادسة 1424 هـ - 2003 م، ص 106.

[76] إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: 1162هـ): " كشف الخفاء ومزيل الإلباس"، الناشر: المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م، 2/ 450، وانظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، 5/ 55.

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث: الفقه يدور على أربعة أحاديث: الحلال بين والحرام بين، والأعمال بالنيات، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، ولا ضرر ولا ضرار. [77]

وقال الشيخ أبو عمرو بن صلاح رحمه الله: "أسند الدارقطني هذا الحديث من وجوه مجموعها يقوي الحديث ويحسنه وقد نقله جماهير أهل العلم واحتجوا به فعن أبي داود قال: الفقه يدور على خمسة أحاديث وعد هذا الحديث منها". قال الشيخ: "فعد أبي داود له من الخمسة وقوله فيه: يشعر بكونه عنده غير ضعيف، وقال فيه: هو على مثال ضرار وقتال وهو على ألسنة كثير من الفقهاء والمحدثين "لاضرر ولا إضرار" بهمزة مكسورة قبل الضاد ولا صحة لذلك". [78]

شرح الحديث:

ذكر العلماء أن من يعمل أمر ما فيسع للذي عمله أن ينتفع به ما لم يضر بالمسلمين لأن له حق المرور ولا ضرر فيه فليلحق ما في معناه به، إذ المانع متعنت، فإذا أضر بالمسلمين كره له ذلك لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الضرر والضرار في الإسلام»،

---

[77] رشيد الدين، أبو العباس أحمد بن المفرج بن علي بن عبد العزيز بن مسلمة الدمشقي (المتوفى: 650هـ): " المشيخة البغدادية"، المحقق: عامر حسن صبري، الناشر: مؤسسة الريان [طبع ضمن مجموع فيه ثلاث من كتب المشيخات الحديثية]، الطبعة: الأولى 1425 هـ - 2004 م، ص 182، رشيد الدين، أبو العباس أحمد بن المفرج بن علي بن عبد العزيز بن مسلمة الدمشقي (المتوفى: 650هـ): "المشيخة البغدادية"، تخريج: الإمام زكي الدين محمد بن يوسف البرزالي المتوفى سنة 636 هـ، حققه وعلق عليه: كامران سعد الله الدلوي، أشرف عليه وراجعه: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 2002 م، ص 46.

[78] ابن دقيق العيد: " شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية"، ص 108.

وليس لأحد من أهل الدرب الذي ليس بنافذ أن يشرع كنيفاً أو ميزاباً إلا بإذنهم، لأنها مملوكة لهم ولهذا وجبت الشفعة لهم على كل حال، فلا يجوز التصرف أضر بهم أو لم يضر إلا بإذنهم. وفي الطريق النافذ له التصرف إلا إذا أضر لأنه يتعذر الوصول إلى إذن الكل، فجعل في حق كل واحد كأنه هو المالك وحده حكما كي لا يتعطل عليه طريق الانتفاع، ولا كذلك غير النافذ لأن الوصول إلى إرضائهم ممكن فبقي على الشركة حقيقة وحكماً. [79]

يبين الكمال ابن الهمام شارحاً القول: "ويسع للذي عمله أن ينتفع به ما لم يضر بالمسلمين لأن له حق المرور ولا ضرر فيه فليلحق به ما في معناه إذ المانع متعنت" أن "هذا المقام محل الكلام، فإن المدعى هنا وهو إباحة الانتفاع بالأمور المذكورة آنفا للذي عملها ما لم يضر بالمسلمين مسألة متفق عليها بين الأئمة...". [80]

وبنى الفقهاء على ذلك قاعدة "الضرر يزال" ومن ثم الرد بالعيب والحجر والشفعة والكفارات، وضمان المتلف والقسمة. ويدخل فيها: الضرر لا يزال بالضرر وهو كعائد لعود على قولهم: الضرر يزال –أي يزال ولكن لا يضرر– فشأنهما شأن الأخص مع الأعم في الحقيقة. بل هم سواء؛ لأنه لو أزيل بالضرر لما صدق: الضرر يزال. [81]

ويتفرع عن هذه القاعدة قاعدة أخرى "الضرر لا يزال بالضرر" وشكك ابن عقيل الحنبلي في الفنون على تصوير هذه المسألة وجعل محلها ما لم تمس النار الجسد، أما إذا مسته فالإنسان بالطبع يتحرك إلى خارج؛ لأن طبع الحيوان الهرب من المحبس، فالحبس

---

[79] كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: 861هـ): " فتح القدير"، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، 10/ 307.

[80] كمال الدين ابن الهمام: " فتح القدير"، 10/ 307.

[81] تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ): "الأشباه والنظائر"، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1411هـ- 1991م، 1/ 41.

غالب على التماثل والنظر في العاقبة، ألا ترى أن من يناله ألم الضرب وبين يديه بئر يوقع نفسه فيها وإن كانت أجدر بهلاكه وما ذاك إلا؛ لأن الضرر فيها ليس بمحبس وأطال فيه. [82]

ومما يدخل في هذه القاعدة: الضرورات تبيح المحظورات، بشرط عدم نقصانها عنها، ومن ثم جاز بل وجب أكل الميتة عند المخمصة، وكذلك إساغة اللقمة بالخمر، وبالبول، وقتل المحرم الصيد دفعا عن نفسه إذا صال عليه، فإنه لا يضمن، ومنه العفو عن أثر الاستجمار، وغير ذلك مما لا حصر له. [83]

فمن أدلة الفقه " أن الضرر يزال "، أي: تجب إزالته. ودليلها: قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا ضرر ولا ضرار "، وفي رواية: " ولا إضرار " بزيادة همزة في أوله وألف بين الراءين. وقال أبو داود قال: "الفقه يدور على خمسة أحاديث"، منها: قوله صلى الله عليه وسلم: " لا ضرر ولا ضرار." وهذه القاعدة فيها من الفقه ما لا حصر له، ولعلها تتضمن نصفه، فإن الأحكام إما لجلب المنافع أو لدفع المضار، فيدخل فيها دفع الضروريات الخمس التي هي: حفظ الدين، والنفس، والنسب، والمال، والعرض، وغير ذلك. وهذه القاعدة ترجع إلى تحصيل المقاصد، وتقريرها بدفع المفاسد أو تخفيفها. تنبيه: مما يدخل في هذه القاعدة: قولنا: ولا يزال به، أي: الضرر لا يزال بالضرر. [84]

---

[82] تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي: "الأشباه والنظائر"، 1/ 42.

[83] علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: 885هـ): " التحبير شرح التحرير في أصول الفقه"، المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. أحمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد – السعودية / الرياض، الطبعة: الأولى، 1421هـ – 2000م، 8/ 3847.

[84] علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي: " التحبير شرح التحرير في أصول الفقه"، 8/ 3846، وقارن مع: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى:

لذلك يجب إزالة الضرر من غير أن يلحق بإزالته ضرر. ويدل لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا ضرر ولا ضرار" وفي رواية "ولا إضرار" بزيادة همزة في أوله، وألف بين الراءين. إن الأحكام إما لجلب المنافع، أو لدفع المضار، فيدخل فيها دفع الضروريات الخمس التي هي حفظ الدين، والنفس والنسب، والمال والعرض. وهذه القاعدة ترجع إلى تحصيل المقاصد وتقريرها بدفع المفاسد أو تخفيفها. ومما يدخل في هذه القاعدة " الضرورات تبيح المحظورات " وهو ما أشير إليه بقوله "وإباحة المحظور" يعني أن وجود الضرر يبيح ارتكاب المحظور، أي المحرم، بشرط كون ارتكاب المحظور أخف من وجود الضرر، ومن ثم جاز – بل وجب – أكل الميتة عند المخمصة وكذلك إساغة اللقمة بالخمر وبالبول. وقتل المحرم الصيد دفعا عن نفسه إذا صال عليه فإنه لا يضمن. ومنها العفو عن أثر الاستجمار وغير ذلك مما لا حصر له. [85]

وبين الفقهاء أن الأصل في المنافع الإباحة لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: 29] {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأعراف: 32]، وقوله تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

972هـ): " شرح الكوكب المنير"، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية 1418هـ - 1997 مـ، 4/ 443.

[85] ابن النجار الحنبلي: " شرح الكوكب المنير"، 4/ 444.

الْخَاسِرِينَ} [المائدة: 5] وفي المضار التحريم لقوله عليه الصلاة والسلام: "لا ضرر ولا ضرار في الإسلام"، قيل: على الأول اللام تجيء لغير النفع، كقوله تعالى: {إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا} [الإسراء: 7] وقوله: {لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 284] وهو مجاز؛ لاتفاق أئمة اللغة على أنها للملك، ومعناه الاختصاص النافع بدليل قولهم: الجل للفرس. قيل: المراد الاستدلال. قلنا: هو حاصل من نفسه فيحمل على غيره". [86]

وهكذا فالأصل في الأشياء النافعة هو الإباحة، وفي الأشياء الضارة أي: مؤلمات القلوب هو الحرمة، وهذا إنما هو بعد ورود الشرع بمقتضى الأدلة الشرعية، وأما قبل وروده فالمختار الوقوف كما تقدم، ثم استدل المصنف على إباحة المنافع بثلاث آيات: الآية الأولى: "قوله تعالى": {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ﴿البقرة: ٢٩﴾ } ووجه الدلالة أن البارئ تعالى أخبر بأن جميع المخلوقات الأرضية للعباد؛ لأن موضوعه للعموم، لا سيما وقد أكدت بقوله: {جميعا} واللام في {لكم} تفيد الاختصاص على جهة الانتفاع للمخاطبين، فإذا قلنا: الثوب لزيد فإن معناه أنه مختص بنفعه, وحينئذ فيلزم من ذلك أن يكون الانتفاع بجميع المخلوقات مأذونا فيه شرعا وهو المدعي. أما "قوله تعالى": {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}

[86] عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 772هـ): "نهاية السول شرح منهاج الوصول"، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى 1420هـ- 1999م، ص 360.

﴿الأعراف: ٣٢﴾ ووجه الدلالة أن هذا الاستفهام ليس على حقيقته بل هو للإنكار، وحينئذ فيكون البارئ تعالى قد أنكر تحريم الزينة التي يختص بنا الانتفاع بها لمقتضى اللام ، وإنكار التحريم يقتضي انتفاء التحريم، وإلا لم يجز الإنكار، وإذا انتفت الحرمة تعينت الإباحة، وفيه نظر، فقد تقدم في أوائل الكتاب أن انتفاء الحرمة لا يوجب الإباحة. وقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} ﴿المائدة: ٤﴾ ووجه الدلالة أن اللام في {لكم} تدل على الطيبات مخصوصة بناء على جهة الانتفاع كما تقدم، وليس المراد بالطيبات هو المباحات، وإلا يلزم التكرار بل المراد بها ما تستطيعه النفس؛ لأن الأصل عدم معنى ثالث، وأما المضار فاستدل المصنف على تحريمها بقوله –عليه الصلاة والسلام: "لا ضرر ولا ضرار في الإسلام" ووجه الدلالة أن الحديث يدل على نفي الضرر مطلقا؛ لأن النكرة المنفية تعم، وهذا النفي ليس واردا على الإمكان ولا الوقوع قطعا، بل على الجواز، وإذا انتفى الجواز ثبت التحريم وهو المدعى. [87]

والضِّرار فعال من ضارّ ومضارّة، وضِرار بمعنى ضره واضطره إلى كذا بمعنى ألجئه إليه، وليس له من بدٌ، الضَّرر إلحاق مفسدة بالغير مطلقًا، والضرار مقابلة الضرر بالضرر، وقيل الضَّرَرُ أن تضرَّ من لا يضُرُّك، والضِّرَار أن تضر من أضر بك من غير جهة الاعتداء بالمثل والانتصار بالحق، هذا قول، وذهب الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في التعليق يقول الفرق بينهما: أن قوله: (لا ضرر) يعني: أنه تجب إزالة الضرر سواء كان عن قصدٍ أو عن غير قصد، يعني: رده إلى القصد، (ولا ضرار) هو الضرر عن قصدٍ، (لا ضرر ولا ضرار) لا تضُرّ لا عن قصدٍ ولا دون قصد، (ولا ضرار) هذا مقيد بالقصد، إذًا أيهما أعم

[87] الإسنوي: "نهاية السول شرح منهاج الوصول"، ص 360.

الأول أم الثاني؟. الأول (لا ضرر) هذا يشمل ما كان عن قصدٍ أو عن غير قصد، (ولا ضرار) هو الضرر عن قصدٍ. واختلفوا في تفسير (لا ضرر ولا ضرار) من الأقوال: قيل الضرر إلحاق مفسدة بالغير مطلقًا، يعني: سواء كانت هذه المفسدة في مقابلة الضرِ أو لا، رجلٌ مسالمٍ لك فضره هذا يُسمى ضرر، رجل ضرَّك فضررته، هذا يحمل على هذا المعنى، إذًا الضرر إلحاق مفسدة بالغير مطلقًا، والضرار، لا، أخص لأن فيه مفاعلة يعني: لا يحصل إلحاق المفسدة إلا إذا حصل منه الضرر ابتداءً فهو الذي ابتدأ، والبادي أظلم كما يقال. إذًا الضِرار مقابلة الضَّرَرِ بالضَّرَرِ، وفسره بعضهم بأنه لا يضُرُّ الرجل أخاه ابتداءً ولا جزاءً، يعني: بالمقابلة، وقيل هما لفظان بمعنى واحد، تكلم بهما يعني: النبي – صلى الله عليه وسلم – جميعًا على وجه التأكيد. [88]

فالضرر منفي مطلقًا حينئذٍ يجب منعه سواء كان عامًا أو خاصًا، سواء كان واقعًا فيجب رفعه أو منتظرًا فيجب دفعه، يعني: الضرر قد يكون عامًا على جميع المسلمين، أو يكون خاصًا بعض الأفراد، ثم الضرر قد يكون واقعًا بالفعل حينئذٍ يجب رفعه، [الضرر يزال]، وقد يتوقع حصوله حينئذٍ لا بد من دفعه فيعم النوعين. والضَّرَرُ يرجع إلى أحد أمرين: إما تفويت مصلحة، أو حصول مضرةٍ بوجهٍ من الوجوه. يعني: إذا حصل إلحاق مفسدة بالناس أو بالمسلم ما وجه المفسدة، إما تفويت مصلحة، وإما حصول مضرة، يعني: جلب مفسدة، إما تفويت مصلحة وإما جلب مفسدة بوجه ما، إذًا دلت هذه القاعدة على تحريم سائر أنواع الضرر إلا بدليل، يعني: قالوا: (لا ضرر ولا ضرار) قلنا هو عينه الدليل، (لا ضرر) هذا

---

[88] أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي: "شرح القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي، http://alhazme.net، الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 14 درسا، 7/ 21.

نكرة في سياق النفي فتعم، ولذلك قال: تحريم سائر أنواع الضرر إلا بدليل، لأن النكر في سياق النفي تعم فلا لحوق ولا إلحاق ضررٍ أو ضرارٍ بأحد في ديننا، أي: لا يجوز شرعًا إلا لموجبٍ خاص. [89]

(لا ضَرَر ولا ضِرَار) الضَرَر: المَضرة، والضِّرار: المضارَّة، وقيل لمالك بن أنس – رحمه الله – ما «الضَّرر والضِّرار»؟ فقال: «ما أضرَّ بالناس في طريق أو بيع أو غير ذلك، قال: ومثل هؤلاء: الذين يطلبون العلم، فيضُرُّ بعضهم بعضاً، حتى يمنعني ذلك أن أجيبَهم". [90]

وقال الشافعي: " فإن تأول رجل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»، فهذا الكلام مجمل لا يحتمل لرجل شيئا إلا احتمل عليه خلافه، ووجهه الذي يصح

---

[89] أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي: "شرح القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي، http://alhazme.net، الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 14 درسا، 7/ 21.

[90] مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ): " جامع الأصول في أحاديث الرسول"، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع ومذيل بحواشي المحقق الشيخ عبد القادر الأرنؤوط – رحمه الله – ، وأيضا أضيفت تعليقات أيمن صالح شعبان (ط : دار الكتب العلمية) في مواضعها من هذه الطبعة، الجزء [1، 2] : 1389 هـ ، 1969 م، الجزء [3 ، 4] : 1390 هـ ، 1970 م، الجزء [5] : 1390 هـ ، 1971 م، الجزء [6 ، 7] : 1391 هـ ، 1971 م، الجزء [8 – 11] : 1392 هـ ، 1972 م، الجزء [12] (التتمة) : ط دار الفكر ، تحقيق بشير عيون، 6/ 644.

به أن لا ضرر في أن لا يحمل على رجل في ماله ما ليس بواجب عليه، ولا ضرار في أن يمنع رجل من ماله ضررا، ولكل ماله وعليه". [91]

روى عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((لا ضرر ولا ضرار))"، هذا الحديث له طرق كثيرة، وهو بمجموع طرقه يثبت، وهو قاعدة من قواعد الشريعة ((لا ضرر ولا ضرار)) يعني لا تضر ابتداءً ولا معاقبة، فلا تضر غيرك ابتداءً بأن توصل إليه الضرر، ولا تزيد في الاقتصاص منه إذا ضرك، لا في البداية ولا في النهاية، الضرر ممنوع، فالضرر هو الابتداء بما يضر، والضرار هو معاقبة من أوصل إليك الضرر بأكثر من ضرره الذي وصلك، ومناسبة هذا للأقضية والمرافق لا شك أنها ظاهرة، فالأقضية كلها مبنية على هذا، على انتفاء الضرر، ورفع الضرر عن المسلمين، وما شرع إقامة الحاكم بدءاً من الإمام الأعظم إلى آخر من ينيبه إلا من أجل رفع الضرر عن المسلمين، وكذلك المرافق العامة يحصل فيها مضارة، يحصل فيها منافسة، مع ذلك بعض الناس إذا جاء إلى مكان مما يرتفق به أخذ منه أكثر من قدر حاجته، حبس منه أكثر من قدر حاجته، وضيق على الناس، ويكون الأمر أشد إذا كان مما يتعبد به، يعني مواطن عبادة، مثل مسجد مثلاً، أو المشاعر، تجد الإنسان يأخذ أكثر من حاجته، والناس يتضايقون، لا شك أنه ضرر هذا، هذا ضرر، لا بد من رفعه؛ لأنه يتضرر به الناس، وجاء النهي عن الضرر {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ

[91] أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): " معرفة السنن والآثار"، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1991م، 8/ 305 - 306.

مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ﴿البقرة: ٢٣٣﴾] {وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ} [سورة البقرة: 282] المقصود أن المضارة لا تجوز من الطرفين، واللفظ في القرآن يحتمل أن الإنسان لا يضارر ولا يضارر؛ لأن الحرف المضعف يحتمل {لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ} لو فكينا الحرف المضاعف المشدد لاحتمل أن تكون: لا تضارر والدة بولدها، فتضر أباه، أو تضر الولد، تضره بولده، أو لا تضارر هذه الأم بولدها فيضرها أبوه، حيث تتضرر، المقصود أنه خطاب للطرفين فلا ضرر ولا ضرار. [92]

واختلف الفقهاء في الذي يجحد حقا عليه ثم يظفر المجحود بمال للجاحد قد ائتمنه عليه أو نحو ذلك فقال بعضهم: ليس له أن يأخذ حقه في ذلك لظاهر قوله: "أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك" وقال آخرون: له أن ينتصر منه ويأخذ حقه من تحت يده واحتجوا بحديث عائشة في قصة هند مع أبي سفيان. والذي يصح في النظر: أنه ليس لأحد يضر بأخيه سواء ضره أم لا إلا أن له أن ينتصر ويعاقب إن قدر بما أبيح له بالحق وليس ذلك ظلماً ولا ضراراً إذا كان على الوجه الذي أباحته السنة. ومعنى "لا ضرار" لا يضار أحد بأحد. وقال المحسني: الضرر هو الذي لك فيه منفعة وعلى جارك فيه مضرة وهذا وجه حسن المعنى". وقال بعضهم: "الضرر والضرار مثل القتل والقتال فالضرر أن تضر من لا يضرك: والضرار: أن تضر من أضر بك من غير جهة الاعتداء بالمثل والانتصار بالحق"، وهذا نحو قوله صلى الله عليه وسلم: "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك" وهذا معناه عند

[92] عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير: "شرح الموطأ"، لمالك بن أنس الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 187 درسا]، (15/137)

بعض العلماء: "لا تخن من خانك بعد أن انتصرت منه في خيانته لك كأن النهي إنما وقع على الابتداء وأما من عاقب بمثل ما عوقب به وأخذ حقه فليس بخائن، وإنما الخائن من أخذ ما ليس له أو أكثر مما له".[93]

جاء في " شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك"، عن (مالك، عن عمرو) (بن يحيى المازني)/ من بني مازن بن النجار الأنصاري الثقة المتوفى بعد الثلاثين ومائة (عن أبيه) يحيى بن عمارة بن أبي حسن، واسمه تميم بن عبد عمرو الأنصاري المدني التابعي الثقة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا ضرر» خبر بمعنى النهي، أي لا يضر الإنسان أخاه فينقصه شيئا من حقه (ولا ضرار) بكسر أوله " فعال "، أي لا يجازي من ضره بإدخال الضرر عليه بل يعفو، فالضرر فعل واحد، والضرار فعل اثنين، فالأول إلحاق مفسدة بالغير مطلقا، والثاني إلحاقها به على وجه المقابلة، أي كل منهما يقصد ضرر صاحبه بغير جهة الاعتداء بالمثل. قال ابن عبد البر:" قيل هما بمعنى واحد للتأكيد"، وقيل: "هما بمعنى القتل والقتال، أي لا يضره ابتداء ولا يضاره إن ضره وليصبر، فهي مفاعلة وإن انتصر فلا يعتدي" كما قال صلى الله عليه وسلم: " «ولا تخن من خانك» ". يريد بأكثر من انتصافك منه {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى: 43]، وقال الخشني: "الضرر الذي لك فيه منفعة وعلى جارك فيه مضرة، والضرار ما ليس لك فيه منفعة وعلى جارك فيه مضرة، وهذا وجه حسن في الحديث، وهو لفظ عام ينصرف في أكثر الأمور، والفقهاء ينزعون به في أشياء مختلفة". وقال ابن حبيب: "الضرر عند أهل العربية الاسم، والضرار الفعل، أي لا تدخل على أحد ضرارا بحال". وقال الباجي: "اختار ابن حبيب أنهما لفظان بمعنى واحد للتأكيد، ويحتمل أن يريد لا ضرر على أحد، أي لا يلزمه الصبر عليه ولا يجوز له إضراره بغيره، وليس

[93] ابن دقيق العيد: " شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية"، ص 107.

استيفاء الحقوق في القصاص وغيره من هذا الباب، لأن ذلك استيفاء لحق أو ردع عن استدامة ظلم مما يضر بجيرانه من بناء حمام أو فرن لخبز أو سبك ذهب أو فضة أو عمل حديد أو رحى فلهم منعه، قاله مالك في المجموعة اه.". وفيه إشارة إلى أن في الحديث حذفا، أي لا لحوق أو إلحاق، أو لا فعل ضررا وضرارا بأحد، أي لا يجوز شرعا إلا لموجب خاص، فقيد النفي بالشرعي لأنه بحكم القدر لا ينتفي، وخص منه ما ورد لحوقه بأهله كحد وعقوبة جان وذبح مأكول، فإنها ضرر ولاحق بأهله وهي مشروعة إجماعا، وفيه تحريم جميع أنواع الضرر إلا بدليل لأن النكرة في سياق النفي تعم، ثم لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث كما في التمهيد. [94]

ورواه الدراوردي عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن أبي سعيد الخدري موصولا بزيادة: " «ومن ضار أضر الله به، ومن شاق شاق الله عليه» ". أخرجه الدارقطني والبيهقي وابن عبد البر والحاكم، ورواه أحمد برجال ثقات، وابن ماجه من حديث ابن عباس وعبادة بن الصامت، وأخرجه ابن أبي شيبة وغيره من وجه آخر أقوى منه. وقال النووي: "حديث حسن وله طرق يقوي بعضها بعضا". وقال العلائي: "له شواهد وطرق يرتقي بمجموعها إلى درجة الصحة". وذكر أبو الفتوح الطائي في الأربعين له أن الفقه يدور على خمسة أحاديث هذا أحدها، ومن شواهده حديث: " «ملعون من ضار أخاه المسلم أو ماكره» ". أخرجه ابن عبد البر عن الصديق مرفوعا وضعف إسناده، وقال: لكنه مما يخاف عقوبة ما جاء فيه. قال: وروى عبد الرزاق عن معمر عن جابر الجعفي عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا: " «لا ضرر ولا ضرار، وللرجل أن يغرز خشبة في جدار أخيه» ". وجابر ضعيف اه، أي فلا يعتبر

[94] محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري: " شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك"، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م، 4/ 66 – 67.

بزيادته في هذا الحديث: وللرجل. . . إلخ، فالزيادة إنما تقبل من الثقة إن لم يخالف من هو أوثق منه كما تقرر، ثم الإنكار إنما هو ورودها في حديث: «لا ضرر ولا ضرار». [95]

و(لا ضرر) أي لا يضر الرجل اخاه فينقصه شيئاً من حقه (ولا ضرار) فعال بكسر أوله أي لا يجازى من ضره بإدخال الضرر عليه بل يعفو فالضرر فعل واحد والضرار فعل اثنين أو الضرر ابتداء الفعل والضرار الجزاء عليه وفيع أن الضرر يزال وهي احدى القواعد الاربع التي رد القاضي حسين جميع مذهب الشافعي اليها، وقال أبو داود: "الفقه يدور على خمسة أحاديث وعده منها وفيه أن الاصل في المضار أي مؤلمات القلوب بعد البعثة التحريم"، ذكره الإمام الرازي أما المنافع فالأصل فيها الاباحة لآية خلق لكم ما في الارض جميعاً (حم هـ عن ابن عباس هـ عن عبادة) واسناده حسن. [96]

(عن ابن عباس) قال: قضى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا ضرر ولا ضرار قال الهيثمي: رجاله ثقات وقال النووي في الأذكار: هو حسن (هـ عن عبادة) بن الصامت رمز لحسنه قال الذهبي: حديث لم يصح وقال ابن حجر: "فيه انقطاع"، قال: وأخرجه ابن أبي شيبة وغيره من وجه آخر أقوى منه اه. ورواه الحاكم والدارقطني عن أبي سعيد وزاد من ضر ضره الله ومن شق شاق الله عليه اه وفيه عثمان بن محمد بن عثمان لينه عبد الحق والحديث حسنه النووي في الأربعين قال: ورواه مالك مرسلا وله طرق يقوي بعضها بعضا وقال العلائي: للحديث شواهد ينتهي مجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به. وفي الحديث تحريم سائر أنواع الضرر إلا بدليل لأن النكرة في سياق النفي تعم وفيه حذف أصله لا لحوق أو

---

[95] محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري: " شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك"، 4/ 67.

[96] زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ): " التيسير بشرح الجامع الصغير"، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، 1408هـ – 1988م، 2/ 501.

إلحاق أو لا فعل ضرر أو ضرار بأحد في ديننا أي لا يجوز شرعا إلا لموجب خاص وقيد النفي بالشرع لأنه بحكم القدر الإلهي لا ينبغي وأخذ منه الشافعية أن للجار منع جاره من وضع جذعه على جداره وإن احتاج وخالف أحمد تمسكا بخبر لا يمنع أحد جاره أن يضع خشبته على جداره ومنعه الشافعية بأن فيه جابر الجعفي ضعفوه وبفرض صحته، فقد قال ابن جرير: "هو وإن كان ظاهره الأمر لكن معناه الإباحة والإطلاق بدليل هذا الخبر وخبر إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام". [97]

وقوله: "لا ضرر ولا ضرار" قال العلماء: "قد يدخل في هذا الحديث وجوه من الضرر، مثل ما يحدثه الرجل في عرصته من بناء حمام، أو فرن، أو دخان، أو كير لعمل الحديد، أو رحى، وهو مما يضر بالجيران". [98]

وكما تقدم عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري –رضي الله تعالى عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: ((لا ضرر ولا ضرار)) " هذه قاعدة، الحديث بني عليه قاعدة من القواعد الشرعية التي ذكرها أهل العلم واهتموا بها، وفرعوا عنها، والحديث وإن اختلف في وصله وإرساله إلا أن في القرآن ما يدل عليه باللفظ، {لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا} [(233) سورة البقرة] {أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ} [(12) سورة النساء] في مواضع من هذا النوع، ، فالحديث فيه تحريم الضرر: ((لا ضرر)) وهو نفي يراد به النهي، والنهي إذا جاء بصيغة النفي كان أبلغ وأشد؛ لأن هذه الصورة من الشدة والبشاعة بحيث يصح نفيها عن المجتمع. فالضرر منفي ابتداءً ومكافئةً، يعني لا يبتدئ الإنسان بالضرر، ولا يجيب من ضره بالضرر؛

---

[97] عبد الرؤوف المناوي: " التيسير بشرح الجامع الصغير"، 6/ 431 – 432.

[98] القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ): " المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك"، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُليماني وعائشة بنت الحسين السُليماني، الناشر: دَار الغَرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1428 هـ – 2007 م، 6/ 410.

لئلا يسعى إلى ضرر لا ابتداءً ولا مكافئة، لا بمفرده ولا في مقابل من ضره، نعم {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾} [(126) سورة النحل] لكن لا تزد على ذلك، لك أن تنتصر لنفسك بقدر المظلمة، لكن تزيد على ذلك لا يجوز، هذا مضارة مفاعلة بين اثنين، فلا يجوز للزوج أن يضار زوجته، كما أنه لا يجوز لها أن تضاره، الحضانة للأم إذا حصل الفراق، لكن قد تسعى هذه الأم لمضارة الزوج من خلال حضانة أولاده بأن تجعل العوائق والحوائل دون رؤيته لهم، هذه مضارة، وكذلك لا يضار الزوج زوجته لا وهي في عصمته وكذلك الزوجة ولا بعد الفراق بالأولاد وغيرهم؛ لأن الزوج قد يضار الزوجة، ولذا لا يضار يحتمل أن يكون مبنياً للمعلوم، ويحتمل أن يكون مبنياً للمجهول، وإذا فك الإدغام تبين المراد، فإما أن يكون الأصل لا يضارِر والد بولده، ويحتمل أن يكون لا يضارَر من قبل الزوجة أو من قبل بعض أهلها، فالضرر منفي، الضرر منفي. [99]

وأخرج ابن ماجه أيضا والبيهقي من حديث عبادة بن الصامت وأخرجه مالك عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه مرسلا بزيادة «من ضار ضاره الله ومن شاق شاق الله عليه» ، وأخرجه بها الدارقطني والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد مرفوعا وأخرجه عبد الرزاق وأحمد عن ابن عباس أيضا وفيه زيادة «وللرجل أن يضع خشبته في حائط جاره، والطريق الميتاء سبعة أذرع» وقوله لا ضرر، الضرر ضد النفع يقال ضره يضره ضرا وضرارا وأضر به يضر إضرارا، ومعناه لا يضر الرجل أخاه فينقصه شيئا من حقه، والضرار فعال من الضر أي لا يجازيه بإضرار بإدخال الضر عليه فالضر ابتداء الفعل والضرار الجزاء عليه، يقول

[99] عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير: "شرح الأربعين النووية"، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 14 درسا]، 5/ 14.

الصنعاني: "يبعده جواز الانتصار لمن ظلم {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ} [الشورى: 41] الآية { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ } [الشورى: 40]"، وقيل: "هما بمعنى، وتكرارهما للتأكيد"، وقيل: "الضرر ما تضر به صاحبك وتنتفع أنت به، والضرار أن تضره من غير أن تنتفع"، الحديث يدل على النهي عن الضرر. لأنها عندما تنكر نفسها، فإنها تدل على تحريمها. تحريم الامتناع عن الأفعال التي تقتضي عدم وجود نفس الفعل. كمنشآت مثل عقوبة الحدود، فهذا معروف في تفاصيل الشريعة، وقد لا يُطلق على عقوبة الحدود مثل القتل والضرب وما إلى ذلك ضررًا للآخرين من أولئك الذين يفعلون ذلك. ولأنه لم يطيع إلا أمر الله بإقامة حد للعصاة، فقد كان عقابًا من الله تعالى ولم يضر الفاعل، وبالتالي كان للفعل حدود العقوبة. وعن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «من أحاط حائطا على أرض فهي له». رواه أبو داود وصححه ابن الجارود، وتقدم أن من عمر أرضا ليست لأحد فهي له وهذا الحديث بين نوعا من أنواع العمارة ولا بد من تقييد الأرض بأنه لا حق فيها لأحد كما سلف. [100]

[100] محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير: " سبل السلام"، 2/ 122.

المبحث الثالث

الاقتصاد في المعيشة

تخريج الحديث:

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم» " رواه البيهقي في " شعب الإيمان[101]."

قال العجلوني في كشف الخفاء في تخريج الحديث:

" رواه البيهقي والعسكري وابن السني والديلمي والقضاعي عن ابن عمر مرفوعًا وضعفه البيهقي، لكن له شواهد، منها ما عزاها في الدرر عن أنس بلفظ: الاقتصاد نصف العيش، ومنها ما عند العسكري عن أنس أيضا رفعه: الاقتصاد المعيشة, وحسن الخلق نصف الدين، ومنها عنده أيضًا: السؤال نصف العلم، والرفق نصف المعيشة، وما عال امرؤ في اقتصاد، ومنها عند الديلمي عن أبي أمامة رفعه: السؤال نصف العلم، والرفق نصف المعيشة، وما عال من اقتصد، ومنها عند أحمد والطبراني والقضاعي عن ابن مسعود رفعه: ما عال من اقتصد، ومنها عند العسكري أيضا عن إبراهيم بن مسلم الهجري بلفظ: لا يعيل أحد على

---

[101] محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي (المتوفى: 1094هـ): " جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَّوائِد"، تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع الناشر: مكتبة ابن كثير، الكويت – دار ابن حزم، بيروت الطبعة: الأولى، 1418 هـ – 1998 م، 1/ 53، قال: " وفيه: مخيس بن تميم عن حفص بن عمرو مجهولان"،

قصد، ولا يبقى على سرف كثير، وله عنده أيضا عن ابن عباس مرفوعًا: ما عال مقتصد، ومنها عند الطبراني عن عبد الله بن سرجس رفعه: التودد، والاقتصاد، والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة، ومنها عند البزار بسند ضعيف عن طلحة بن عبيد الله رفعه: من اقتصد أغناه الله، ومنها عند الديلمي عن أنس مرفوعًا: التدبير نصف المعيشة، والتودد نصف العقل، والهم نصف الهرم, وقلة العيال أحد اليسارين، ومنها عند البيهقي من قول ميمون بن مهران بلفظ: التودد إلى الناس نصف العقل, وحسن المسألة نصف الفقه، ورفقك في معيشتك يكفي عنك نصف المئونة، ومنها عند ابن حبان عن أبي ذر أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال له: "يا أبا ذر, لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق"، ومنها عند البيهقي والعسكري عن علي رفعه: التودد نصف الدين, وما عال امرؤٌ قط على اقتصاد, واستنزلوا الرزق بالصدقة, وأبى الله أن يجعل رزق عباده المؤمنين من حيث يحتسبون، ومنها عند العسكري عن أنس رفعه: رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس، وأهل التودد لهم درجه في الجنة، ونصف العلم حسن المسألة، والاقتصاد في المعيشة والرفق يكفي نصف المئونة, ومنها ما سيأتي عن أنس مرفوعًا: ما عال من اقتصد في حديث: ما خاب، فهذه الشواهد تقتضي حسن الحديث، وجاء في الاقتصاد أيضًا قوله صلى الله عليه وسلم: السمت الحسن، والهدى, والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة، وفي رواية: من ستة وأربعين, وقوله صلى الله عليه وسلم: "من فقه الرجل أن يصلح معيشته". [102]

وذكر السيوطي في تخريج الحديث ما يأتي:

[102] العجلوني الدمشقي: "كشف الخفاء ومزيل الإلباس"، الناشر، 1/ 179.

"الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة والتودد إلى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم" (القضاعي، والعسكرى فى الأمثال، والطبرانى فى الأوسط، وابن عساكر، وابن النجار عن ابن عمر).

أخرجه القضاعي (55/1، رقم 33)، والطبرانى فى الأوسط (25/7، رقم 6744)، قال الهيثمى (160/1): فيه مخيس بن تميم عن حفص بن عمر قال الذهبى: مجهولان. وابن عساكر (179/57). وأخرجه أيضًا: البيهقى فى شعب الإيمان (254/5، رقم 6568)، وابن أبى حاتم في العلل (284/2، رقم 2354)، وقال: قال أبى: هذا حديث باطل، ومخيس وحفص مجهولان.

"الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف الدين" (العسكرى، والخطيب عن أنس).

أخرجه الخطيب (11/12) وأخرجه أيضًا: الديلمى (122/1 رقم 420) قال المناوى (181/3): إسناده ضعيف. [103]

وقال شيخي الشيخ الأستاذ الدكتور عبد السميع الأنيس عن الحديث:

..."

هذا الحديث ضعفه البيهقي..

ولكن تكلم عنه الحافظ السخاوي في "المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة" رقم الحديث: 137

[103] جلال الدين السيوطي: " جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى)"، 30/11

وقال: "له شواهد."

والذي أراه بعد دراستي لما كتبه السخاوي أن هذا الحديث يحسَّن لشواهده.

وإليك كلام الحافظ السخاوي:

حَدِيث: "الاقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ، وَالتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ، وَحُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ."

رواه البيهقي في الشعب، والعسكري في الأمثال، وابن السِّني، والديلمي من طريقه، والقضاعي، كلهم من حديث مخيس بن تميم، عن حفص بن عمر، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن الزبير، عن نافع عن ابن عمر مرفوعا بهذا.

وضعفه البيهقي؛ لأن مخيساً وشيخه مجهولان.

ولكن له شاهد عند العسكري من حديث خلاد بن عيسى عن ثابت عن أنس رفعه: الاقتصاد نصف العيش، وحسن الخلق نصف الدين.

وكذا أخرجه الطبراني وابن لال.

ومن شواهده أيضا ما للعسكري من حديث أبي بلال الأشعري، حدثنا عبدالله بن حكيم المدني عن شبيب بن بشر عن أنس رفعه: السؤال نصف العلم، والرفق نصف المعيشة، وما عال امرؤ في اقتصاد.

وللديلمي من جهة الحاكم، ثم من حديث عمر بن صبح عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أبي أمامة رفعه: السؤال نصف العلم، والرفق نصف المعيشة، وما عال من اقتصد.

وللقضاعي ومن قبله أحمد والطبراني من حديث إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن ابن مسعود رفعه: ما عال من اقتصد.

وللطبراني عن عبد الله بن سرجس مرفوعا: التودد، والاقتصاد، والسمت الحسن، جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة.

وللديلمي عن أنس مرفوعا: التدبير نصف المعيشة، والتودد نصف العقل، والهم نصف الهرم، وقلة العيال أحد اليسارين.

ورواه البيهقي من قول ميمون بن مهران، ولفظه: التودد إلى الناس نصف العقل، وحسن المسألة نصف الفقه، ورفقك في معيشتك تكفي عنك نصف المئونة.

ولابن حبان في صحيحه في حديث طويل عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق، وهذا اللفظ عند البيهقي في الشعب.

وللعسكري من جهة أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا: ما عال مقتصد.

ومن حديث سكين بن عبد العزيز عن الهجري عن أبي الأحوص عن ابن مسعود مرفوعا: لا يعيل أحد على قصد، ولا يبقى على سرف كثيرٌ.

ومن حديث عثمان بن عمر بن خالد بن الزبير عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه علي مرفوعا: التودد نصف الدين، وما عال امرؤ قط على اقتصاد، واستنزلوا الرزق بالصدقة.

ومن حديث يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس رفعه: رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس، وأهل التودد لهم درجة في الجنة، ونصف العلم حسن المسألة، والاقتصاد في المعيشة والرفق تكفي نصف المئونة، وذكر حديثا.

وجاء في الاقتصاد قوله صلى الله عليه وسلم: السمت الحسن، والهدى، والاقتصاد، جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة، وفي لفظ: من ستة وأربعين.

وفي حديث يروى مرفوعا: من فقه الرجل أن يصلح معيشته.

وقد عقد البيهقي في الشعب للاقتصاد في النفقة بابا.

وقوله: ما عال مقتصد، أي: ما افتقر من أنفق قصداً، ولم يجاوزه إلى الإسراف". [104]

شرح الحديث:

(الاقتصاد في النفقة) أي: في صرفها أو في الإنفاق (نصف المعيشة) وهو مقتبس من قوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿الفرقان: ٦٧﴾ } [الفرقان: 67]، (والتودد إلى الناس) أي: التحبب إلى المؤمنين الصالحين (نصف العقل) أي: استخدام نصفه أو سبب تحصيل نصفه، فإنه بالاستصحاب يحصل للعقل الاكتساب، فكان عقل المنفرد نصف العقل، فيكمل بعقل صاحبه، ولذا قيل: علمان خير من علم واحد، وكان بعض العارفين يقول لبعض تلاميذه: أنا وأنت إنسان كامل ; لأنك حافظ القرآن وأنا مفسره، ولعل هذا معنى ما رواه ابن أبي الدنيا في الإخوان عن سهل بن سعد مرفوعا: «المرء كثير

[104] من جواب في رسالة أرسلها شيخي الشيخ الدكتور عبد السميع الأنيس حفظه الله إلي عبر الواتساب جواباً على رسالة أرسلتها له حفظه الله بتاريخ 6/ 8 / 2022 م، وكان جواب الشيخ بتاريخ 7 / 8 / 2022م. إذ سألته عن الحديث عبر رسال

بأخيه» ولا شك أن مصاحبة أرباب الكمال تورث كمال العقل في جميع الأحوال. (وحسن السؤال نصف العلم) فإن السائل الذكي يسأل عما يهمه وما هو بشأنه. وهذا يحتاج إلى فضل تميز بين مسئول ومسئول، فإذا حصل مبتغاه وفاز به كمل علمه، وعلى هذا يمكن أن يحمل قوله: لا أدري نصف العلم اه. [105]

والأولى أن يقال: يفهم من حسن سؤال الطالب أن له اشتراكاً في العلم وأنه يبتغي أن يضيف إليه بقية العلم، وعلى هذا يمكن أن يحمل قوله: لا أدري نصف العلم بخلاف من يسأل من غير تأمل وحسن مقال، فإنه يكون دليلاً على نقصان عقله وكمال جهله. هذا والصحيح في معنى قوله: لا أدري نصف العلم بيان أن العالم ولو بلغ مبلغ الكمال في العلم، فإنه لا بد له من الجهل ببعضه في ذلك جوابه لا أدري. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " «لا أدري أعزير نبي أم لا»، وفي القرآن {وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} [الأحقاف: 9] "، و " {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾} [الإسراء: 85] " وقد حكي أن عليا كرم الله وجهه سئل عن شيء وهو على المنبر، فقال: لا أدري، فقيل له: فإذا كنت لا تدري فلم صعدت المنبر؟ قال: إنما طلعت بقدر علمي ولو صعدت بقدر جهلي لوصلت السماء، وفي قول الملائكة: {سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا} [البقرة: 32] تنبيه على ذلك والله أعلم. (روى البيهقي الأحاديث الأربعة في شعب الإيمان). [106]

روى الحافظ ابن عساكر الحديث بسنده، فقال: أخبرنا علي بن محمد بن علي بن الحسن بن أبي المضاء محمد أبو الحسن بن أبي المضاء البعلبكي الفقيه الشافعي قراءة عليه

---

[105] علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ): " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م، 8/ 3169.

[106] علي القاري: " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، 8/ 3169.

بدمشق، قال أبنا أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد بدمشق، قال أبنا أبو الحسن محمد بن عوف بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي عوف المزني، أبنا أبو القاسم الفضل بن جعفر بن محمد التميمي المؤذن، ثنا جماهر بن محمد الزملكاني، ثنا هشام بن عمار، ثنا محسن بن تميم، ثنا حفص بن عمر، حدثني إبراهيم بن عبد الله بن الزبير عن نافع، عن ابن عمر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد للناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم." غريب الإسناد والمتن. [107]

و(الاقتصاد) أي التوسط في النفقة بين التبذير والتقتير (نصف العيش) أي المعيشة (وحسن الخلق) بضم الخاء واللام: أي كرم الأخلاق (نصف الدين) لأنه يحمل صاحبه على ترك ما يشين دينه ومروءته فمن اكتسبه فقد حاز نصف الدين، والنصف الثاني هو معاملة الخالق. [108]

وفي الحديث عن أبي ذر، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر؛ لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق".

وقوله: "لا عقل كالتدبير" أراد بالتدبير العقل المطبوع، وهناك العقل المسموع. قوله: "ولا ورع"، فالورع في الأصل الكف عن المحارم والتحرج منه، يقال: "ورع الرجل يرع- بالكسر فيهما- ورعا ورعة فهو ورع، وتورع من كذا. ثم استعير للكف عن المباح والحلال". فإن قيل: فعلى هذا: الورع هو الكف، فكيف قيل: "ولا ورع كالكف"؟ أجيب: أن الكف إذا أطلق، فهم

---

[107] ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ): "معجم الشيوخ"، المحقق: الدكتورة وفاء تقي الدين، الناشر: دار البشائر – دمشق الطبعة: الأولى 1421 هـ - 2000 م، 2/ 751 – 752.

[108] زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ): " فيض القدير شرح الجامع الصغير"، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، 1356، 3/ 181.

منه الكف عن الأذى أو كف اللسان، كما قال صلى الله عليه وسلم: "كف عليك هذا"، وأخذ بلسانه كأنه قيل: ولا ورع كالصمت أو كالكف عن أذى المسلمين. "ولا حسب كحسن الخلق". أي لا مكارم مكتسبة كحسن الخلق مع الخلق، فالأول عام والثاني خاص. وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم" روى البيهقي الأحاديث الأربعة في "شعب الإيمان". [109]

أما الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: "نصف المعيشة"، وذلك أن كلا طرفي التبذير والتقتير ينغص كل العيش والتوسط فيه هو العيش، والعيش نوعان: عيش الدنيا، وعيش الآخرة، كما أن العقل صنفان: مطبوع ومسموع، والمسموع نوعان: معاملة مع الله ومعاملة مع الخلق. وقوله: "وحسن السؤال نصف العلم"، فإن السائل الفطن يسأل عما يهمه وما هو بشأنه أعنى، وهذا يحتاج إلى فضل تمييز بين مسئول ومسئول. فإذا ظهر بمبتغاه وفاز به كمل علمه، وعلى هذا يمكن أن يحمل قوله: ((لا أدري نصفا العلم)). والله أعلم. [110]

ويذكر الصنعاني أن رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس، وأهل التودد في الدنيا لهم درجة في الجنة، ومن كانت له في الجنة درجة فهو في الجنة، ونصف العلم حسن المسألة، والاقتصاد في المعيشة نصف العيش، يبقي نصف النفقة، وما تم دين إنسان قط

---

[109] شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ): "شرح الطيبي على مشكاة المصابيح"، المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م، 10/ 3228.

[110] شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي: "شرح الطيبي على مشكاة المصابيح"، المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، 10/ 3228.

حتى يتم عقله والدعاء يرد الأمر، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصدقة العلانية تقي ميتة السوء، وصنائع المعروف إلى الناس تقي صاحبها مصارع السوء: الآفات والهلكات وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة والمعروف ينقطع فيما بين الناس ولا ينقطع فيما بين الله وبين من افتعله". قالوا معنى التودد: "الإتيان بالأفعال التي تودك الناس ويحبونه بالإتيان بها". [111]

ويرشد إليه حديث "وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس" لكن يعني بذلك أنه إطاعة لأمر الله تعالى وبكونه أمره بذلك وبكونهم عباده ولا طلبا لمكافئتهم فإذا انقطع لله أحبه الناس. "وأهل التودد في الدنيا لهم درجة في الجنة" أي منزلة رفيعة. "ومن كانت له في الجنة درجة فهو في الجنة"، قال الماوردي: "التودد يعطف القلوب على المحبة ويزيل البغضاء ويكون ذلك بصنوف من البر ويختلف باختلاف الأشخاص والأحوال". "ونصف العلم حسن المسألة" أي حسن الطلب للعلم فإنه إذا أحسن المسألة أقبل عليه العالم للإفادة وألقى عليه ما في سرائره فكأنه حاز نصف العلم من أول الطلب. "والاقتصاد في المعيشة" قصد العيش الاقتصاد التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط. "نصف العيش، يبقي نصف النفقة" تكون سببًا لبقاء نصفها. "وركعتان" نفلاً أو فرضاً. "من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من" رجل "مخلط" لا يتوقى الشبهات. قال بعض العارفين: "الورع اجتناب ما يفسد أنواع القربات، ويكدر صفاء المعاملة، وحقيقته توفي كل ما يحذر منه، وغايته تدقيق النظر في إظهار الإخلاص من شائبة الشرك الخفي". "وما تم دين إنسان قط حتى يتم عقله"، قيل ولذا كان النبي – صلى

---

[111] محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): "التنوير شرح الجامع الصغير، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م، 6/ 200.

الله عليه وسلم – إذا وصف له عبادة إنسان سأل عن عقله. "والدعاء يرد الأمر" الذي قضاه الله وأمر به. "وصدقة السر تطفئ غضب الرب". "وصدقة العلانية تقي ميتة السوء". "وصنائع المعروف إلى الناس" أي الإحسان إليهم بأنواع الإحسان. "تقي" أي تدفع. "صاحبها مصارع السوء" أي تدفع ذلك وهو جمع مصرع ما يصرع الإنسان فيه وبينها، بالإبدال منها بقوله: "الآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة" أي من بذل. [112]

"الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة"، الاقتصاد الوسط بين طرفي الإفراط والتفريط أي التقصير والإسراف أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه نصف المعيشة في أعانة صاحبه عليه، أو لأنه يبارك لصاحبه حتى كأنه يدخل عليه نصف المعيشة. "والتودد إلى الناس" أي التحبب إليهم، واستمالة قلوبهم بالمحبة للإنسان بحسن الخلق وبذل الصنيع وكف الأذى. "نصف العقل" أي نصف عمل ذي العقل وإلا فالعقل لا يتجزأ، أو نصف الأعمال الصادرة عن العقل، وكأن التنصيف من باب المبالغة لأنه من كفى نفسه شر العباد، بل استجلب حبهم فقد كفى مؤنة كثيرة. "وحسن السؤال" للعلم بلطف القول وإبانة العبارة وإيضاح المراد وتوخي فراغ قلب العالم. "نصف العلم" لأن السائل بإحسانه السؤال أعان العالم على حسن الجواب فكأنه حاز نصف علمه والكل حث على التخلق بالأخلاق الحسنة. [113]

ومما يستفاد من الحكمة النبوية أن المسلم ينبغي ألا يكون بخيلًا منوعًا لا يعطي أحدًا شيئًا، وألا يسرف في الإنفاق فيعطي فوق طاقته، ويخرج أكثر من دخله، فإنه إن بخل كان ملومًا مذمومًا عند الناس، كما قال زهير: "وَمَنْ يكُ ذا مالٍ فيبخل بماله ... على قومه يُستغنَ

---

[112] محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير: "التنوير شرح الجامع الصغير، 6/ 200.

[113] محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير: "التنوير شرح الجامع الصغير، 6/ 200.

عنه ويُذْمَمِ"، والبخيل مذموم عند الله لحرمان الفقير والمسكين من فضل ماله، وقد أوجب الله على المسلم سدّ حاجة أخيه المسلم بإعطاء زكاة المال. وإن أسرف المسلم في أمواله فسرعان ما يفقدها فيصبح معسرًا بعد الغنى، ذليلًا بعد العزة، محتاجًا إلى معونة غيره بعد أن كان معينًا له، وحينئذٍ يقع في الحسرة التي تقطع نياط قلبه، ويبلغ منه الأسى كلّ مبلغ، ولكن أنّى يفيد ذلك، وقد فات ما فات، فلا ينفع النّدم، ولا تجدي العظة والنصيحة. وخلاصة ذلك: اقتصد في عيشك، وتوسّط في الإنفاق، ولا تكن بخيلًا، ولا مسرفًا. روى أحمد وغيره عن ابن عباس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ما عال من اقتصد» وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة» وروي عن أنس مرفوعًا «التدبير نصف المعيشة، والتودد نصف العقل، والهمُّ نصف الهرم، وقلة العيال أحد اليسارين»، وقيل: «حسن التدبير مع العفاف خيرٌ من الغنى مع الإسراف". [114]

يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا} ﴿الفرقان: ٦٧﴾، فقد نهانا القرآن عن التبذير حتى في مقام الإنفاق والتصدق المؤكد وجعل المبذر كالشيطان مبالغا في الكفر، وبين سوء عاقبة المتوسع في النفقة إلى حد الإسراف كما في آيات 26 – 29 من السورة 17 (الإسراء). فإذا جرى لنا نحن المسلمين بعد هذه الوصايا، والحكم حتى صرنا أشد الأمم إسرافا، وتبذيرا، وإضاعة للأموال، وجهلا بطرق الاقتصاد فيها، وتثميرها، وإقامة مصالح الأمة بها في هذا الزمن الذي لم يسبق له نظير في أزمنة التاريخ

[114] الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي: " تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن"، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م، 16/ 81.

من حيث توقف قيام مصالح الأمم، ومرافقها، وعظمة شأنها على المال حتى إن الأمم الجاهلة بطرق الاقتصاد، التي ليس في أيديها مال كثير قد صارت مستذلة، ومستعبدة للأمم الغنية بالبراعة في الكسب، والإحسان في الاقتصاد. وفي الأحاديث النبوية من المعاني ما هو قريب من معنى الآية الكريمة أعلاه. فمنها ما عال من اقتصد رواه أحمد عن ابن مسعود. وهو حديث حسن – " الاقتصاد نصف المعيشة، وحسن الخلق نصف الدين "، رواه الخطيب عن أنس، والطبراني، والبيهقي عن ابن عمر بلفظ: " الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم "، وغيرهم بألفاظ أخرى: " من فقه الرجل رفقه في معيشته " رواه أحمد، والطبراني، عن أبي الدرداء، وهو حديث حسن – " من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله " إلخ. رواه البزار، عن أبي طلحة وسنده ضعيف. ومن الأحاديث في فضل الغني حديث سعد المتفق عليه: " إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس " وحديثه عند مسلم: " إن الله يحب العبد التقي الغني الحفي "، وحديث حكيم بن حزام في الصحيحين خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى إلخ. وحديث عمرو بن العاص عند أحمد بسند صحيح نعما المال الصالح للمرء الصالح وحديث أنس عند مسلم، والبيهقي كاد الفقر أن يكون كفرا.[115]

ولا عال من اقتصد". رواه الطبراني في معجمه الأوسط من حديث أنس. وقوله عليه الصلاة والسلام: "الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، العسل جانيه، وفي بعض الآثار: نقِّحوا عقولكم بالمذاكرة، واستعينوا على أموركم بالمشاورة، وقال الحكماء: من كمال عقلك استظهارك عليه، وإذا أشكلت عليك الأمور، وتغيّر لك الجمهور، فارجع إلى رأي العقلاء، وافزع إلى

[115] محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ): " تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م، 4/ 313.

استشارة الفضلاء، ولا تأنف من الاسترشاد، ولا الاستمداد. وقال بعض العارفين: الاستشارة بمنزلة تنبيه النائم أو الغافل، فإنه يكون جازمًا بشيء يعتقد أنه صواب، وهو بخلافه، ولا يشاور إلّا أمينًا مجربًا، حازمًا ناصحًا، ثابت الجأش، غير معجَبٍ بنفسه، ولا متلوّن في رأيه، ولا كاذب في مقاله. زاد بعضهم: وليس محبًّا لغلبة هوى محبوبه عليه، ولا امرأة، ولا متجردًا عن الدنيا لعدم معرفته، ولا منهمكًا في حبها؛ لأن استيلائها عليه يظلم قلبه، فيفسد رأيه، ولا بخيلًا. قال ابن عباس: لما نزل وشاورهم في الأمر قال –صلى الله عليه وسلم: "أما أن الله ورسوله لغنيان عنها، لكن جعلها الله رحمة لأمتي، فمن استشار منهم لم يعدم رشدًا، ومن تركها لم يعدم غيًّا"، رواه البيهقي بإسناد غريب. وقال أبو هريرة: ما رأيت أحدًا أكثر مشاورة لأصحابه من النبي –صلى الله عليه وسلم، رواه الشافعي، ويستحبّ تقديمها على الاستخارة، كما في المدخل، "ولا عال من اقتصد"، أي: ما افتقر من توسط في النفقة على عياله، "رواه الطبراني في معجمه الأوسط"، وكذا في الصغير، كما قال النور الهيثمي "من حديث أنس" بإسناد ضعيف جدًّا. انتهى، فمن عزاه للصغير فقط، كالفتح والمقاصد، أو للأوسط فقط، كالمصنّف والجامع، فقد قصروا وهم، وكذا جزم الحافظ بأنّ إسناده واهٍ جدًّا، لكن له شواهد كثيرة. "وقوله –عليه الصلاة والسلام: "الاقتصاد"، أي: التوسُّط "في النفقة"، وتجنّب الإفراط والتفريط فيها "نصف المعيشة." قال الطيبي: وذلك لأنَّ كِلَا طرفي التبذير والتقتير ينغِّص المعيشة، والتوسّط فيه هو العيش، والعيش نوعان: عيش الدنيا وعيش الآخرة، كما أنَّ العقل نصفان: مطبوع ومسموع، والمسموع صنفان: معاملة مع الله، ومعاملة مع الخلق، وقال غيره: التوسّط في النفقة يحصل به راحة للعبد, وحسن حال، وذلك نصف ما به الحياة، فقد قيل: كمال العيش شيئان: مدة الأجل وحسن الحال، فمدة الأجل لا دخل للعبد فيها بوجه، وحسن

الحال, وإن كان من الله، لكنَّه جعل للعبد مدخلًا فيه، بالسعي في أسبابه المحصّلة له عادة، "والتودد". [116]

هذا وإن الاقتصاد في المعيشة قد وضعت له قواعد وأصول، فرعت منها مسائل وفروع فيحسن الاستنارة بها وبعلم تدبير المنزل على اجتناب ما حظره الشرع من الإسراف والتبذير والبخل والتقتير: واتباع ما حث عليه ورغب فيه من القصد والاعتدال في النفقات والصدقات ورد في كتاب الله، قوله تعالى أول سورة النساء: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا} ﴿النساء: ٥﴾، {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} ﴿الأعراف: ٣٢﴾، حرمت العرب في جاهليتها زينة اللباس في الطواف تعبدا وقربة، وحرم بعضهم أكل بعض الطيبات من الأدهان وغيرها في حال الإحرام بالحج كذلك، وحرموا من الحرث والأنعام ما بينه تعالى في سورة الأنعام. وحرم غيرهم، من الوثنيين وأهل الكتاب كثيرا من الطيبات والزينة كذلك. فجاء الإسلام دين الفطرة الجامع بين مصالح البشر في معاشهم ومعادهم، ينكر هذا التحكم والظلم للنفس. فالاستفهام في قوله تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ} إنكاري يدل على أن هذا التحريم من وساوس الشياطين. لا مما أوحاه تعالى إلى من سبق من المرسلين، أي لم يحرمه أحد منهم، ولم يجعل سبحانه حق التبليغ عنه لغيرهم، وإضافة الزينة إلى الله تعالى يؤذن باستحسانها والمنة بها. وإخراجها للناس عبارة عن خلق موادها لهم وتعليمهم طرائق صنعها، بما أودع في فطرهم من حبها. وفي عقولهم من الاستعداد للإبداع فيها ليبلوهم أيهم أحسن عملا، وأكثر للمنعم شكرا، وأوسعهم بسننه وآياته

[116] أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: 1122هـ): "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1417هـ-1996م، 5/ 372.

علما (والطيبات من الرزق) هي المستلذات من الأطعمة والأشربة. واشتراط كونها حلالا يؤخذ هنا من النهي عن الإسراف فيها، وصرح به في آيات أخرى كما تقدم في سورتي البقرة (2: 168) والمائدة(5: 90 – 91) . [117]

وقد خلق الله تعالى البشر مهيأين لإظهار آياته وسننه في جميع ما خلقه لهم في هذا العالم الذي يعيشون فيه، ذلك بأنه أودع في غرائزهم ميلا إلى العلم والبحث وكشف المجهولات، والاطلاع على الخفيات، لا حد له يقف عنده وحبا للشهوات الحسية والعقلية، والزينة الصورية والمعنوية، لا حد له أيضاً. فاندفعوا بهذه الغرائز التي لم تخلق لغيرهم ممن يشاركهم في حياتهم الجسدية كأنواع الحيوان، ولا في حياتهم الروحية من الملائكة والجان، فلم يدعوا شيئا عرفوه بحواسهم إلا عنوا بالبحث فيه، ولا شيئا عرفوه بعقولهم إلا بحثوا عنه، ولم يكن بحثهم من طريق واحد ولا لغرض واحد، بل من طرق كثيرة لأغراض شتى لم تنته ولن تنتهي في هذه الحياة المقضى عليها بالنهاية وكأنما هم مخلوقون لحياة لا نهاية لها ولا حد، كما تدل عليه غرائزهم وتأهبهم الذي ليس له حد. [118]

"الاقتصاد في النّفقة.. نصف المعيشة، والتّودّد إلى النّاس" وقال بعضهم: "ليس شيء أجمع لخصال الخير من خصال الفلاح." واللّب: "العقل الخالص من الشوائب. سمي به! لأنّه خالص بما في الإنسان من قواه كاللبّاب من الشيء، وقيل: هو ما زكى من العقل، وكلّ لبّ عقل، ولا عكس. انتهى ذكره المناوي في «شرح الجامع". وهذا الحديث رمز له في «الجامع الصغير» برمز البخاري في «التاريخ»، والبيهقي في «شعب الإيمان»؛ عن قرّة بن هبيرة بن

---

[117] محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني: " تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، 8/ 345.

[118] محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، 8/ 345.

عامر القشيري- من وجوه الوفود- قال: أتينا النبي صلى الله عليه وسلّم فقلنا: إنّه كان لنا أرباب نعبدهنّ فودعناهنّ... فذكره. قال الهيثمي: "فيه راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات". انتهى من المناوي على «الجامع". («الاقتصاد)؛ أي: التوسط (في النّفقة) وتجنّب الإفراط والتفريط فيها. (نصف المعيشة) قال الطيبي: "وذلك لأنّ كلا طرفي التبذير والتقتير ينغّص المعيشة، والتوسّط فيه هو العيش. والعيش نوعان: عيش الدنيا، وعيش الآخرة. كما أن العقل صنفان: مطبوع، ومسموع. والمسموع: صنفان؛ معاملة مع الله، ومعاملة مع الخلق". وقال غيره: "التوسّط في النفقة يحصل به راحة للعبد وحسن حال، وذلك نصف ما به الحياة". فقد قيل: "كمال المعيشة شيئان: مدة الأجل، وحسن الحال. فمدّة الأجل لا دخل للعبد فيها بوجه، وحسن الحال؛ وإن كان من الله؛ لكنّه جعل للعبد مدخلا فيه بالسّعي في أسبابه المحصّلة له عادة. ذكره الزرقاني على «المواهب". [119]

و(التودّد)؛ أي: التحبب (إلى النّاس) بالأخذ في أسباب المحبة. " نصف العقل، وحسن السّؤال نصف العلم". كملاقاتهم بالبشر وطلاقة الوجه، وحسن الخلق، والرفق، وغير ذلك (نصف العقل) لأنّه يبعث على محبتهم، وعلى السلامة من شرّهم؛ أي: نصف ما يرشد إليه العقل ويحصّله. وجعله نصفين! مبالغة حتّى كأنّ ما يرشد إليه من المحاسن هو نفسه. (وحسن السّؤال نصف العلم» فإن السائل الذكي يسأل عما يهمّه وهو بشأنه أعنى، وهذا يحتاج إلى فضل تمييز بين مسؤول ومسؤول؛ فإذا حصل على ما يريد وفاز به كمل علمه، وعليه يحمل قوله: «- لا أدري- نصف العلم» ذكره الطيبيّ. وقال غيره: "إذا أحسن سؤال شيخه أقبل عليه

[119] عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرميّ الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي (المتوفى: 1410هـ): "منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم"، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة: الثالثة، 1426 هـ / 2005 م، 3/ 314.

بقلبه وقالبه، وأوضح له ما أشكل، وأبان له ما أعضل؛ لكونه وجد استعدادا وقابلا، وإذا لم يحسن السؤال أعرض عنه وضنّ بإلقاء النفائس إليه، وفتح من الجواب بنزر يسير ممّا يورده عليه". ذكره الزّرقاني على «المواهب". وهذا الحديث رواه البيهقي في «الشّعب»، وابن السني والديلمي من طريقه، والطبراني في «مكارم الأخلاق»، والعسكري في «الأمثال»، والقضاعي: كلّهم من طريق نافع؛ عن ابن عمر مرفوعا. وضعّفه البيهقي لكن له شاهد عند العسكري من حديث خلّاد بن عيسى الصّفّار أبي مسلم الكوفي، عن ثابت البناني، عن أنس رفعه: «الاقتصاد نصف المعيشة، وحسن الخلق نصف الدّين". وكذا أخرجه الطبراني، والخطيب، وابن لال. ومن شواهده أيضا للعسكري عن أنس رفعه: «السؤال نصف العلم، والرّفق نصف المعيشة، وما عال امرؤ في اقتصاد". [120]

وورد: «الرّفق في المعيشة خير من بعض التّجارة»؛ رواه الدارقطني والطبراني وغيرهما، ويروى كما في «الفردوس»: «الرّفق خير من كثير من التّجارة". وللديلمي من حديث أبي أمامة رفعه: «السؤال نصف العلم، والرّفق نصف المعيشة». وفي «صحيح ابن حبان» من حديث طويل عن أبي ذرّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم قال له: «يا أبا ذرّ؛ لا عقل كالتّدبير، ولا ورع كالكفّ، ولا حسب كحسن الخلق». وهذا اللفظ عند البيهقي في «الشعب". وله أيضا، وللعسكريّ عن عليّ مرفوعا: «التّودّد نصف الدّين، وما عال امرؤ قطّ على اقتصاد»؛ أي: ما افتقر من أنفق قصدا ولم يجاوزه إلى الإسراف. وورد في حديث عند الديلمي؛ عن أنس رفعه: «إنّ أحدكم يأتيه الله عزّ وجلّ برزق عشرة أيّام في يوم واحد، فإن هو حبس عاش تسعة أيّام بخير، وإن هو وسّع وأسرف قتّر عليه تسعة أيّام». وجاء في خبر: «من فقه الرّجل

[120] عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرميّ الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي: "منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم"، الناشر، 3/ 315.

رفقه في معيشته". قال مجاهد: "ليرفق أحدكم بما في يده، ولا يتأوّل قوله: {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} [39/ سبأ] فإنّ الرّزق مقسوم، فلعلّ رزقه قليل فينفق نفقة الموسّع ويبقى فقيرا حتّى يموت، بل معنى الآية: أنّ ما كان من خلف فمنه سبحانه، فلعلّه إذا أنفق بلا إسراف ولا إقتار كان خيرا من معاناة بعض التجارة. انتهى من «المواهب» وشرحها". -(الله في عون العبد) ؛ أي: إعانته وتسديده، ومثل العبد الأمة. فالمراد الذّكر والأنثى، وإنّما عبّر بالعبد! تنبيها على شرف العبوديّة. (ما دام العبد) كرّر «العبد» بوضع الظاهر موضع المضمر!! تفخيما لشأنه وترغيبا في سرعة الامتثال، و «ما» مصدرية ظرفية؛ أي: مدة دوام كون العبد، (في عون أخيه المسلم»)؛ أي: إعانة بقلبه أو بدنه أو ماله أو جاهه. [121]

ومن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويرد نفسه إلا ما لا بد له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان ويقلل من الإدام ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيرد كل واحد إلى هذا القدر فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الإجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الأصل في القناعة ونعني به الرفق في الإنفاق وترك الخرق فيه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن الله يحب الرفق الأمر كله، وقال صلى الله عليه وسلم: "ما عال من اقتصد"، والتؤدة في الإنفاق من أهم الأمور، الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بِأَنَّ الرِّزْقَ الَّذِي قُدِّرَ لَهُ لَا بُدَّ وأن يأتيه وإن لم يشتد

[121] عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرميّ الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي: "منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم"، 3/ 316.

حرصه فإن شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق بل ينبغي أن يكون واثقاً بوعد الله تعالى. [122]

فالشيطان يعد الإنسان بالفقر ويأمره بالفحشاء ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتعوز إلى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفاً من الفقر ويضحك عليه في احتماله التعب نقداً مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل: ومن ينفق الساعات في جمع ماله ... مخافة فقر فالذي فعل الفقر. [123]

[122] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ): " إحياء علوم الدين"، الناشر: دار المعرفة – بيروت، 3/ 241.

[123] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي: "إحياء علوم الدين"، 3/ 242.

المبحث الرابع

(يا غلام: إني أعلمك كلمات)

تخريج الحديث:

نعرض أدناه عدداً من الروايات الواردة عن ابن عباس رضي الله عنهما في الحديث الآتي:

قال البيهقي: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار السكري , ببغداد , أنا إسماعيل بن محمد الصفار , ثنا عباس بن عبد الله الترقفي، ثنا أبو عبد الرحمن المقرئ، ثنا نافع بن يزيد، وابن لهيعة وكهمس بن الحسن وهمام عن قيس بن الحجاج، عن حنش، عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا غلام – أو يا بني – ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن , قلت بلى – قال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة إذا سألت فاسأل الله تعالى وإذا استعنت فاستعن بالله عز وجل قد جف القلم بما هو كائن فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه، واعمل لله بالشكر في اليقين،

واعلم أن الصبر على ما تكره خير كثير وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا». [124]

وفي كتاب "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم" لابن رجب عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف". رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وفي رواية غير الترمذي: "احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا". هذا الحديث خرجه الترمذي من رواية حنش الصنعاني، عن ابن عباس، وخرجه الإمام أحمد، من حديث حنش أيضا مع إسنادين آخرين منقطعين ولم يميز لفظ بعضها من بعض، ولفظ حديثه: "يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟" فقلت: بلى، فقال: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت، فاسأل الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله، لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا

---

[124] أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): " الأسماء والصفات"، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1413 هـ – 1993 م، 1/ 188 – 189.

عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا". [125]

وفي مسند الإمام ابن حنبل عن ابن عباس، أنه قال: كنت رديف النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقال: "يا غلام"، أو "يا غليم، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ "، فقلت: بلى، فقال: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً". [126]

وفي "ترتيب الأمالي الشجرية" عن أبي معمر، قال: حدثني علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، قال: " أهديت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغلته الشهباء أهداها له المقوقس، وجارية يقال لها مارية أم إبراهيم، فاتخذها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه، وجارية أخرى فوهبها لدحية الكلبي، وفتل للبغلة رسنا من صوف ومن ليف فقلدها إياه، وأخذ كساء قطوانيا فطواه بأربع طيات، ثم وضعه على البغلة، ثم ركبها نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أخذ بيدي فأردفني، فقال يا غلام: ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ قلت: بلى افعل يا نبي الله، فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في

---

[125] زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): " جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1424 هـ – 2004 م، 2/ 547.

[126] أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ – 1995 م، 3/ 246.

الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا على ذلك، أو يضروك بما لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا على ذلك، اعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، فإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا، قال: كيف أصنع باليقين يا نبي الله؟ قال: أن تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، فإذا أنت قد فتحت باب اليقين". وفي "ترتيب الأمالي الشجرية" أيضاً عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف لله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، واعلم أن الخلائق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئا لم يرد الله أن يعطيك لم يقدروا عليه، أو يصرفوا عنك شيئا أراد الله أن يصيبك لم يقدروا على ذلك، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا، واعلم أن القلم قد جرى بما هو كائن". [127]

وقال البيهقي في "الإيمان": أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار السكري ببغداد، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا عباس بن عبد الله الترقفي، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ، حدثنا نافع بن يزيد، وابن لهيعة، وكهمس بن الحسن، وهمام بن يحيى، عن قيس بن الحجاج الزرقي، عن حنش، عن ابن عباس، قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " يا غلام أو يا بني أو لا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ " قلت: بلى، قال: "

[127] القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (المتوفى: 610هـ): "ترتيب الأمالي الخميسية للشجري"، مؤلف الأمالي: يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (المتوفى 499 هـ)، رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (المتوفى: 610هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م، 2/ 267 – 268.

§احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا -[351]- أن يضروك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه، واعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أن الصبر على ما تكره خير كثير، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا " أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو بكر أحمد بن سلمان الفقيه، حدثنا محمد بن مسلم الواسطي، حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثني عبد الله بن لهيعة، ونافع بن يزيد، عن قيس بن الحجاج الزرقي، عن حنش، عن ابن عباس، قال: كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " يا غلام. " فذكره. قال محمد بن مسلمة: وأخبرنا المقرئ، عن كهمس بن الحسن، وهمام بن يحيى بإسناده إلى ابن عباس. [128]

وفي "السراج المنير" للسيوطي: " يا غلام! إني أعلمك كلمات احفظ اللَّه يحفظك، احفظ اللَّه تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل اللَّه، وإذا استعنت فاستعن باللَّه، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه اللَّه عليك، جفت الأقلام ورفعت الصحف". [129]

---

[128] أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): " شعب الإيمان"، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م، 2/ 350.

[129] الحافظ جلال الدين السيوطي – العلامة محمد ناصر الدين الألباني: " السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير"، رتَّبه وعلق عليه: عصام موسى هادي، الناشر: دار الصديق – توزيع مؤسسة الريان، الطبعة: الثالثة، 1430 هـ - 2009 م، 2/ 1125.

وفي " أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري": عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوما فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف." وفي لفظ "جفت الأقلام وطويت الصحف" أخرجه ابن وهب في "القدر" (28) وأحمد (1/ 293 و 303 و 307) والترمذي (2516) ويعقوب بن سفيان في "المعرفة" (2/ 530) وابن أبي عاصم في "السنة" (316) والفريابي في "القدر" (153 و 156) والطبراني في "الكبير" (12988 و 12989) وفي "الدعاء" (42) وابن السني في "اليوم والليلة" (425) ونصر السمرقندي في "تنبيه الغافلين" (ص 194 – 195) والبيهقي في "الشعب" (192 و 1043) وفي "الأسماء" (ص 97) وفي "الاعتقاد" (ص 139 – 140) وفي "القضاء والقدر" (287 و 288) وأبو سعيد النقاش في "فوائد العراقيين" (9) وأبو زكريا ابن منده في "أرداف النبي" (ص 24 – 25) واللالكائي في "السنة" (1094 و 1095) وأبو عبد الله بن منده في "التوحيد" (251) والخطيب في "المدرج" (2/ 857 – 858 و 859 – 860 و 860 – 861 و 861 – 862) وابن بطة في "الإبانة" (1505 و 1508) وابن الجوزي في "مثير الغرام" (ص 517) والمزي في "التهذيب" (24/ 20 – 21) والحافظ بن حجر في "تخريج أحاديث المختصر" (1/ 327 و328) وفي "الأمالي الحلبية" (ص 15 – 16 و 17) من طرق عن قيس بن الحجاج به. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح". وقال ابن منده: هذا إسناد مشهور، رواته ثقات، ولهذا الحديث طرق عن ابن عباس وهذا أصحها"، وقال ابن رجب: هذه الطريق حسنة جيدة" جامع العلوم

1/ 462، وقال الحافظ: إسناده حسن"، قلت: وهو كما قالوا، وقيس بن الحجاج ذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال أبو حاتم: صالح، وقال الحافظ في "التقريب": صدوق، وحنش الصنعاني وثقه أبو زرعة وغيره. [130]

وفي " أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري" أيضاً: "ولم ينفرد قيس بن الحجاج به بل تابعه يزيد بن أبي حبيب عن حنش عن ابن عباس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، ولا تسأل غير لله، ولا تحلف إلا بالله، جفت الأقلام وطويت الصحف، فوالذي نفسي بيده، لو أنّ أهل السماء وأهل الأرض اجتمعوا على أنْ يضروك بغير ما كتب الله لك ما استطاعوا، ولو أنّ أهل السماء وأهل الأرض اجتمعوا على أنْ ينفعوك بغير ما كتب الله لك ما استطاعوا ذلك" قلت: يا رسول الله، كيف لي بمثل هذا من اليقين، حتى أخرج من الدنيا؟ قال: "تعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك." أخرجه الآجري في "الشريعة" (412) عن الفريابي في "القدر" (157) ثني أبو وهب الوليد بن الوليد بن عبد الملك الحرّاني ثنا محمَّد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم عن أبي عبد السلام الشامي عن يزيد بن أبي حبيب به. ورجاله ثقات غير أبي عبد السلام الشامي فلم أعرفه. لثاني: يرويه عيسى بن محمَّد القرشي عن ابن أبي مُليكة عن ابن عباس مرفوعا "يا غلام، احفظ الله –عز وجل– يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، تَعَرَّف إلى الله –عز وجل– في الرَّخاء يعرفك في الشدة، واعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، واعلم

[130] أبو حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي: " أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري"، المحقق: نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة، الناشر: مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ – 2005 م، 1/ 362.

أنّ الخلائق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئا لم يُرد الله –عز وجل– أنْ يعطيك لم يقدروا عليه، أو يصرفوا عنك شيئا أراد الله –عز وجل– أنْ يصيبك به لم يقدروا على ذلك، فإذا سألت فاسأل الله –عز وجل–، وإذا استعنت فاستعن بالله –عز وجل–، واعلم أنّ النصر مع الصبر، واعلم أنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يسرا، واعلم أن القلم قد جرى بما هو كائن". أخرجه الفريابي (154) والعقيلي (3/ 397 – 398) والطبراني في "الكبير" (11243) وفي "الدعاء" (41) والحاكم (3/ 542) وأبو نعيم في "الصحابة" (4284) والقضاعي (745) والبيهقي في "الآداب" (1073) والشجري في "أماليه (195 – 194 /2) " وقال العقيلي: عيسى بن محمَّد القرشي مجهول بالنقل ولا يعرف إلا به ولا يتابع عليه، والأسانيد في هذا لينة"، وقال الذهبي في "تلخيص المستدرك": قلت: وعيسى ليس بمعتمد". [131]

ويرويه عبد الله بن ميمون القدّاح عن شهاب بن خِرَاش عن عبد الملك بن عمير عن ابن عباس قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "يا غلام" قلت: لبيك يا رسول الله، قال: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تَعَرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الناس أنْ ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهد الناس أنْ يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، فإنْ استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر فإن في الصبر على ما تكرهه خيرا كثيرا، واعلم أنّ مع الصبر النصر، واعلم أنّ مع الكرب الفرج، واعلم أنّ مع العسر اليسر" أخرجه الحاكم (3/ 541) والواحدي في "الوسيط" (2/ 257 – 258) وأبو زكريا بن منده في "أرداف النبي" (ص 24) والشجري في "أماليه" (2/

[131] أبو حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي: " أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري"، 1/ 362 – 363.

189) والحافظ في "تخريج أحاديث المختصر(329 /1) "، وقال الحاكم: هذا حديث كبير عال من حديث عبد الملك بن عمير عن ابن عباس إلا أنّ الشيخين لم يخرجا شهاب بن خراش ولا القداح في الصحيحين"، وقال الذهبي: قلت: لأنّ القداح قال أبو حاتم: متروك، والآخر مختلف فيه، وعبد الملك لم يسمع من ابن عباس فيما أرى"، وقال الحافظ: هذا حديث غريب من هذه الطريق. أخرجه الدارقطني في "الأفراد" من هذا الوجه، وقال: تفرد به شهاب بن خراش عن عبد الملك بن عمير ولم يروه عنه إلا عبد الله بن ميمون. قلت: شهاب بن خراش وثقه ابن معين والجمهور، وشذّ ابن حبان فذكره في "الضعفاء" وبالغ في توهينه، وأما القداح فاتفقوا على ضعفه". [132]

الرابع: يرويه إسماعيل بن عياش عن عمر بن عبد الله مولى غُفْرَة عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا "يا غلام، ألا أعلمك شيئا ينفعك الله به؟ " قلت: بلى يا رسول الله، قال: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تَعَرَّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله الحديث. أخرجه الطبراني في "الكبير" (11560) من طريق غسان بن الربيع ثنا إسماعيل بن عياش به. وأخرجه البيهقي في "القضاء والقدر" (307) من طريق يحيى بن يحيى النيسابوري عن إسماعيل بن عياش ولم يذكر عكرمة. وإسناده ضعيف، إسماعيل بن عياش روايته عن غير الشاميين ضعيفة، وهذه منها فإنّ عمر بن عبد الله مولى غفرة مدني. وتابعه عيسى بن يونس عن عمر مولى غفرة عن ابن عباس،

[132] أبو حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي: " أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري"، 1/ 362 – 363.

ولم يذكر عكرمة. أخرجه أبو القاسم الأصبهاني في "الحجة" (2/ 47) وابن عمشليق في "جزئه" (1) والفريابي(155) ، وعمر مولى غفرة مختلف فيه. [133]

شرح الحديث:

عن أبي عباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال: (يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح – وفي رواية – غير الترمذي: (احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا). [134]

قوله "كُنْتُ خَلْفَ النبي" يحتمل أنه راكب معه ويحتمل أنه يمشي خلفه، وأياً كان فالمهم أنه أوصاه بهذه الوصايا العظيمة.

---

[133] أبو حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي: " أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري"، 1/ 364. وانظر في تخريج الحديث: جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (المتوفى: 742هـ): " تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف"، المحقق: عبد الصمد شرف الدين، طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، الطبعة: الثانية: 1403هـ، 1983م، 4/ 382.

[134] محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ): "شرح الأربعين النووية"، الناشر: دار الثريا للنشر، 1/ 200.

قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس "يا غلام" لأن ابن عباس رضي الله عنهما كان صغيراً، فإن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وابن عباس قد ناهز الاحتلام يعني من الخامسة عشر إلى السادسة عشر أو أقل. قال: "إني أعلمك كلمات" قال ذلك من أجل أن ينتبه لها "احفظ الله يحفظك" هذه كلمة عظيمة جليلة واحفظ تعني احفظ حدود الله سبحانه وتعالى وشريعته بفعل الأوامر واجتناب النواهي، وكذلك بأن تتعلم من دين الله تعالى ما تقوم به عبادتك ومعاملاتك وتدعو به إلى الله عزّ وجل، واحفظ الله يحفظك في دينك وأهلك ومالك ونفسك لأن الله سبحانه وتعالى يجزي المحسنين بإحسانه وأهم هذه الأشياء هو أن يحفظك في دينك ويسلمك من الزيغ والضلال لأن الإنسان كلما اهتدى زاده الله عزّ وجل هدى {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} ﴿محمد: ١٧﴾ ، وعُلِمَ من هذا أن من لم يحفظ الله فإنه لا يستحق أن يحفظه الله عزّ وجل وفي هذا الترغيب على حفظ حدود الله عزّ وجل. وقوله صلى الله عليه وسلم: "احفظ الله تجده تجاهك" ونقول في قوله: احْفَظِ اللهَ كما قلنا في الأولى، ومعنى تجده تجاهك وأمامك معناهما واحد يعني تعد الله عزّ وجل أمامك يهديك إلى كل خير ويقربك إليه ويرشدك إليه ويحميك من كل شر ولا سيما إذا حفظت الله بالاستعانة به فإن الإنسان إذا استعان بالله عزّ وجل وتوكل عليه كان الله حسبه ولا يحتاج إلى أحد بعد الله قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿الأنفال: ٦٤﴾، أي حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين فإذا كان الله حسب الإنسان فإنه لن يناله سوء ولهذا قال: "احفظ الله تجده تجاهك". [135]

وقول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: "إذا سألت فاسأل الله" إذا كان لديك حاجة فلا تسأل إلا الله سبحانه وتعالى، ولا تسأل المخلوق شيئاً وإذا قدر أنك سألت المخلوق

[135] محمد بن صالح بن محمد العثيمين: "شرح الأربعين النووية"، 1/ 202.

ما يقدر عليه فاعلم أنه سبب من الأسباب وأن المسبب هو الله عزّ وجل لو شاء لمنعه من إعطائك سؤالك فاعتمد على الله تعالى. وقوله صلى الله عليه وسلم: "وإذا استعنت فاستعن بالله" فإذا أردت العون والمساعد فلا تطلب العون إلا من سبحانه وتعالى، لأنه هو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، وهو يعينك إذا شاء وإذا أخلصت الاستعانة بالله وتوكلت عليه أعانك، وإذا استعنت بمخلوق فيما يقدر عليه فاعتقد أنه سبب، وأن الله هو الذي سخره لك. وفي هاتين الجملتين دليل على أنه من نقص التوحيد أن الإنسان يسأل غير الله، ولهذا تكره المسألة لغير الله عزّ وجل في قليل أو كثير، والله سبحانه وتعالى إذا أراد عونك يسر لك العون سواء كان بأسباب معلومة أو غير معلومة، فقد يعينك الله بسبب غير معلوم لك، فيدفع عنك من الشر ما لا طاقة لأحد به، وقد يعينك الله على يد أحد من الخلق يسخره لك ويذلِّله لك حتى يعينك، ولكن مع ذلك لا يجوز لك إذا أعانك الله على يد أحد أن تنسى المسبب وهو الله عزّ وجل. [136]

ويبين النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس الحقيقة المتعلقة بجلب المنفعة: "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قَد كتبه الله لك" هذه الحقيقة أن الأمة كلها من أولها إلى آخرها لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وعلى هذا فإن نفع الخلق الذي يأتي للإنسان فهو من الله في الحقيقة لأنه هو الذي كتبه له وهذا حث لنا على أن نعتمد على الله سبحانه وتعالى ونعلم أن الأمة لا يجلبون لنا خيراً إلا بإذن سبحانه. ويكشف النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس الحقيقة الأخرى المتعلقة بجلب الضرر: "وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك" وعلى هذا فإن حصل لك ضرر من أحد فاعلم أن الله قد كتبه عليك فيعين

[136] محمد بن صالح بن محمد العثيمين: "شرح الأربعين النووية"، 1/ 202.

عليك أن تكون راضياً بقضاء الله وبقدره، ولا حرج أن تحاول أن تدفع الضر عنك، لأن الله تعالى يقول: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} ﴿الشورى: ٤٠﴾. وبهذه الحقائق التي كشفها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما "رفعت الأقلام، وجفت الصحف" يعني أن ما كتبه الله عزّ وجل قد انتهى فالأقلام رفعت والصحف جفت ولا تبديل لكلمات الله. [137]

قوله رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وفي رواية غير الترمذي: "احفظ الله تجده أمامك" وهذا بمعنى "احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة" يعني أد حق الله عز وجل في حال الرخاء والصحة والغنى يعرفك في الشدة إذا زالت عنك الصحة وزال عنك الغنى واشتدت حاجتك عرفك بما سبق لك أو بما سبق فعل الخير الذي تعرفت به إلى الله عز وجل. "واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك" أي ما وقع عليك فلن يمكن دفعه، وما لم يحصل لك فلا يمكن جلبه، ويحتمل أن المعنى، يعني أن ما قدر الله عز وجل أن يصيبك فإنه لا يخطئك، بل لابد أن يقع لأن الله قدره. وأن ما كتب الله عز وجل أن يخطئك رفعه عنك فلن يصيبك أبداً، فالأمر كله بيد الله، وهذا يؤدي إلى أن يعتمد الإنسان على ربه اعتمادا كاملا ثم قال: "واعلم أن النصر مع الصبر" فهذه الجملة فيها الحث على الصبر، لأنه إذا كان النصر مع الصبر فإن الإنسان يصبر من أجل أن ينال النصر، والصبر هنا يشمل الصبر على طاعة الله وعن معصيته وعلى أقداره المؤلمة. [138]

---

[137] محمد بن صالح بن محمد العثيمين: "شرح الأربعين النووية"، 1/ 202.

[138] محمد بن صالح بن محمد العثيمين: "شرح الأربعين النووية"، 1/ 202- 203.

وقوله: "واعلم أن الفرج مع الكرب" الفرج انكشاف الشدة والكرب، فكلما اشتدت الأمور فإن الفرج قريب، لأن الله عز وجل يقول في كتابه: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} (النمل: الآية62) فكل يسر بعد عسر بل إن العسر محفوف بيسرين، يسر سابق ويسر لاحق، قال الله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾} (الشرح: 5-6) ، قال ابن عباس رضي الله عنه "لن يغلب عسر يسرين". من فوائد الحديث: ملاطفة النبي صلى الله عليه وسلم لمن هو دونه حيث قال: "يا غلام إني أعلمك كلمات". أنه ينبغي لمن ألقي كلاما ذا أهمية أن يقدم له ما يوجب لفت الانتباه، حيث قال: "يا غلام إني أعلمك كلمات". ومن فوائد الحديث أن من حفظ الله حفظه الله لقوله: "احفظ الله يحفظك". أن من أضاع الله – أي أضاع دين الله – فإن الله يضيعه ولا يحفظه، قال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} ﴿الحشر: ١٩﴾، من حفظ الله عز وجل هداه ودله على ما فيه الخير، وأن من لازم حفظ الله له أن يمنع عنه الشر. [139]

ومن فوائد الحديث أن الإنسان إذا احتاج إلى معونة فعليه الاستعانة بالله سبحانه وتعالى، ولكن لا مانع أن يستعين بغير الله ممن يمكنه أن يعينه لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة". ومن فوائد الحديث أن الأمة لن تستطيع أن تنفع أحداً إلا إذا كان الله قد كتبه له، ولن يستطيعوا أن يضروا أحداً إلا أن يكون الله تعالى قد كتب ذلك عليه. أنه يجب على المرء أن يكون مرتبطاً رجاءه بالله عز وجل وألا يلتفت إلى المخلوقين، فإن المخلوقين لا يملكون له ضراً ولا نفعاً.

[139] محمد بن صالح بن محمد العثيمين: "شرح الأربعين النووية"، 1/ 203 – 204.

ومن فوائد أن كل شيء مكتوب، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. [140]

وفي الرواية الأخرى أن الإنسان إذا تعرف إلى الله عزّ وجل بطاعته في الصحة والرخاء عرفه الله تعالى في حال الشدة فلطف به وأعانه وأزال شدته، ومن فوائد الحديث أن الإنسان إذا كان قد كتب الله عليه شيئاً فإنه لا يخطئه، وأن الله عزّ وجل إذا لم يكتب عليه شيئاً فإنه لا يصيبه. ويتضمن الحديث البشارة العظيمة للصابرين، وأن النصر مقارن للصبر، كما أن فيه لبشارة العظيمة أيضاً بأن تفريج الكربات وإزالة الشدائد مقرون بالكرب، فكلما اشتد بالإنسان الأمر فرج الله عنه. ومن فوائد الحديث تسلية العبد عند حصول المصيبة، وفوات المحبوب على أحد المعنيين في قوله: "واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك" فالجملة الأولى تسلية في حصول المكروه، والثانية تسلية في فوات المحبوب.[141]

[140] محمد بن صالح بن محمد العثيمين: "شرح الأربعين النووية"، 1/ 204.

[141] محمد بن صالح بن محمد العثيمين: "شرح الأربعين النووية"، 1/ 204 – 205.

الفصل الثالث

أبحاث في التاريخ النبوي

المبحث الأول

قبل البعثة النبوية

عن حال الناس قبل الإسلام يبين الشيخ ابن تيمية أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الخلق على فترة من الرسل وقد مقت أهل الأرض: من العرب والعجم، إلا بقايا من أهل الكتاب ماتوا – أو أكثرهم – قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم. والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي معتصم بكتاب: إما مبدل، وإما مبدل منسوخ ودين دارس، بعضه مجهول، وبعضه متروك، وإمّا أميّ من عربي وعجمي، مقبل على عبادة ما استحسنه، وظن أنه ينفعه: من نجم، أو وثن، أو قبر، أو تمثال، أو غير ذلك. والناس في جاهلية جهلاء، من مقالات يظنونها علما وهي جهل، وأعمال يحسبونها صلاحا وهي فساد. وغاية الذكي منهم علما وعملا، أن يحصل قليلا من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين، قد اشتبه عليهم حقه بباطله. [142]

ومن الناس ممن عاش قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من يشتغل بعمل القليل منه مشروع، وأكثره مبتدع لا يكاد يؤثر في صلاحه إلا قليلا، أو أن يكدح بنظره كدح المتفلسفة، فتذوب مهجته في الأمور الطبيعية والرياضية وإصلاح الأخلاق، حتى يصل –

---

[142] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة: السابعة، 1419هـ – 1999م، 1/ 74– 75.

إن وصل – بعد الجهد الذي لا يوصف، إلى شيء قليل مضطرب، لا يروي ولا يشفي من العلم الإلهي، باطله أضعاف حقه – إن حصل – وأنَّى له ذلك مع كثرة الاختلاف بين أهله، والاضطراب وتعذر الأدلة عليه، والأسباب؟ فهدى الله الناس ببركة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به من البينات والهدى، هداية جلت عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين، حتى حصل لأمته المؤمنين عموما، ولأولي العلم منهم خصوصا، من العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسنن المستقيمة، ما لو جمعت حكمة سائر الأمم، علما وعملا، الخالصة من كل شوب، إلى الحكمة التي بعث بها، لتفاوتا تفاوتا يمنع معرفة قدر النسبة بينهما، فلله الحمد كما يحب ربنا ويرضى. [143]

قُصي بن كلاب وبنوه:

حاز قصي شرف مكة، وأنشأ دار الندوة، وفيها كانت قريش تقضي أمورها، ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي إلا من بلغ ابن أربعين سنةً للمشورة، وكان يدخلها ولد قصي كلهم وحلفاؤهم، فلما كبر قصي وبلغ من العمر عتياً كان عبد الدار بكره وأكبر ولده، وكان عبد مناف قد نال الشرف الكبير في زمان أبيه، وعبد الدار وعبد العزى أولاد قصي لم يبلغوا ولا أحد من قومهم من قريش ما بلغ عبد مناف من الشرف والعز، وكان قصي وحبى ابنة حليل يحبان عبد الدار ويرقان عليه؛ لما يريان عليه من شرف عبد مناف وهو أصغر منه، فقالت له حبى:

- لا والله لا أرضى حتى تخص عبد الدار بشيء تلحقه بأخيه.

[143] ابن تيمية الحراني: " اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، 1/ 75.

- فقال قصي: والله لألحقنه به، ولأحبونه بذروة الشرف، حتى لا يدخل أحد من قريش ولا غيرها الكعبة إلا بإذنه، ولا يقضون أمرًا ولا يعقدون لواءً إلا عنده. [144]

وأجمع قصي على أن يقسم أمور مكة التي فيها الشرف والعز بين بنيه، فأعطى عبد الدار السدانة – وهي الحجابة – ودار الندوة واللواء، وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة، فأما السقاية فهي من أدم كانت على عهد قصي توضع بفناء الكعبة، ويسقى فيها الماء العذب من الآبار على الإبل، ويسقاه الحاج، وأما الرفادة فخرج كانت قريش تخرجه من أموالها في كل موسم، فتدفعه إلى قصي يصنع به طعامًا للحاج، يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد، فلما هلك قصي أقيم أمره في قومه بعد وفاته على ما كان عليه في حياته، وولي عبد الدار حجابة البيت، وولاية دار الندوة، واللواء، فلم يزل يليه حتى مات، وجعل عبد الدار الحجابة بعده إلى ابنه عثمان بن عبد الدار، وجعل دار الندوة إلى ابنه عبد مناف بن عبد الدار، فلم تزل بنو عبد مناف بن عبد الدار يرأسون الندوة دون ولد عبد الدار، فكانت قريش إذا أرادت أن تشاور في أمر، فتحها لهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، أو بعض ولده، أو ولد أخيه. وقد سميت دار الندوة بذلك لاجتماع النداة فيها يندونها يجلسون فيها لتحقيق أمرهم وتشاورهم، ولم تزل بنو عثمان بن عبد الدار يلون الحجابة دون ولد عبد الدار، ثم وليها عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، ثم وليها أبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، ثم وليها ولده من بعده حتى كان فتح مكة. [145]

---

[144] أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: 250هـ): " أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار"، المحقق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر – بيروت، بدون تاريخ، 1/ 109.

[145] الأزرقي: " أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار"، 1/ 110.

فقبضها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أيديهم، وفتح الكعبة ودخلها، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة مشتملًا على المفتاح، فقال له العباس بن عبد المطلب: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أعطنا الحجابة مع السقاية. فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} [النساء: 58]، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فما سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل تلك الساعة، فتلاها ثم دعا عثمان بن طلحة، فدفع إليه المفتاح، وقال: «غيبوه» ثم قال: «خذوها يا بني أبي طلحة بأمانة الله سبحانه، واعملوا فيها بالمعروف خالدةً تالدةً، لا ينزعها من أيديكم إلا ظالم». فخرج عثمان بن طلحة إلى هجرته مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأقام ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، فلم يزل يحجب هو وولده وولد أخيه وهب بن عثمان، حتى قدم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وولد مسافع بن طلحة بن أبي طلحة من المدينة، وكانوا بها دهرًا طويلًا، فلما قدموا حجبوا مع بني عمهم، فولد أبي طلحة جميعًا يحجبون. وأما اللواء فكان في أيدي بني عبد الدار كلهم، يليه منهم ذوو السن والشرف في الجاهلية، حتى كان يوم أحد، فقتل عليه من قتل منهم. وأما السقاية والرفادة والقيادة فلم تزل لعبد مناف بن قصي، يقوم بها حتى توفي، فولي بعده هاشم بن عبد مناف السقاية والرفادة، وولي عبد شمس بن عبد مناف القيادة، وكان هاشم بن عبد مناف يطعم الناس في كل موسم بما يجتمع عنده من ترافد قريش، كان يشتري بما يجتمع عنده دقيقًا، ويأخذ من كل ذبيحة من بدنة أو بقرة أو شاة فخذها، فيجمع ذلك كله، ثم يحزر به الدقيق ويطعمه الحاج، فلم يزل على ذلك من أمره حتى أصاب الناس في سنة جدب شديد، فخرج هاشم بن عبد مناف إلى الشام، فاشترى بما اجتمع عنده من ماله دقيقًا وكعكًا، فقدم به مكة في الموسم، فهشم ذلك الكعك ونحر الجزور وطبخه، وجعله ثريدًا، وأطعم الناس، وكانوا في مجاعة شديدة حتى أشبعهم، فسمي بذلك هاشمًا، وكان

اسمه عمرًا، فلم يزل هاشم على ذلك حتى توفي، وكان عبد المطلب يفعل ذلك، فلما توفي عبد المطلب قام بذلك أبو طالب في كل موسم، حتى جاء الإسلام وهو على ذلك، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أرسل بمال يعمل به الطعام مع أبي بكر رضي الله عنه حين حج أبو بكر بالناس سنة تسع، ثم عمل في حج النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، ثم أقام أبو بكر في خلافته، ثم عمر رضي الله عنه في خلافته، ثم الخلفاء هلم جرًا حتى الآن، وهو طعام الموسم. الذي تطعمه الخلفاء اليوم في أيام الحج بمكة وبمنًى حتى تنقضي أيام الموسم وأما السقاية فلم تزل بيد عبد مناف، فكان يسقي الماء من بئر كر آدم من أدم بفناء الكعبة، فيرده الحاج حتى يتفرقوا، فكان يستعذب ذلك الماء، وقد كان قصي حفر بمكة آبارًا، وكان الماء بمكة عزيزًا، إنما يشرب الناس من آبار خارجة من الحرم، فأول من حفر قصي بمكة، حفر بئرًا يقال لها العجول، كان موضعها في دار أم هانئ بنت أبي طالب بالحزورة، وكانت العرب إذا قدمت مكة يردونها، فيسقون منها ويتراجزون عليها.

وحفر قصي أيضًا بئرًا عند الردم الأعلى عند دار أبان بن عثمان التي كانت لآل جحش بن رئاب ثم دثرت، فنثلها جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وأحياها، ثم حفر هاشم بن عبد مناف بذر، وقال حين حفرها: لأجعلنها للناس بلاغًا. وهي البير التي في حق المقوم بن عبد المطلب في ظهر دار الطلوب مولاة زبيدة بالبطحاء في أصل المستنذر.

وحفر هاشم أيضًا سجلةً، وهي البير التي يقال لها بئر جبير بن مطعم، دخلت في دار القوارير، فكانت سجلةً لهاشم بن عبد مناف، فلم تزل لولده حتى وهبها أسد بن هاشم للمطعم بن عدي حين حفر عبد المطلب زمزم واستغنوا عنها. ويقال: وهبها له عبد المطلب حين حفر عبد المطلب زمزم واستغنى عنها، وسأله المطعم بن عدي أن يضع حوضًا من أدم إلى جانب زمزم يسقي فيه من ماء بئره، فأذن له في ذلك، وكان يفعل، فلم يزل هاشم بن عبد

مناف يسقي الحاج حتى توفي، فقام بأمر السقاية بعده عبد المطلب بن هاشم، فلم يزل كذلك حتى حفر زمزم، فعفت على آبار مكة كلها، وكان منها مشرب الحاج. قال: وكانت لعبد المطلب إبل كثيرة، فإذا كان الموسم جمعها، ثم يسقي لبنها بالعسل في حوض من أدم عند زمزم، ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج؛ لأن يكسر غلظ ماء زمزم، وكانت إذ ذاك غليظةً جدًا، وكان الناس إذ ذاك لهم في بيوتهم أسقية يسقون فيها الماء من هذه البيار، ثم ينبذون فيها القبضات من الزبيب والتمر؛ لأن يكسر عنهم غلظ ماء آبار مكة، وكان الماء العذب بمكة عزيزًا، لا يوجد إلا لإنسان يستعذب له من بئر ميمون وخارج مكة، فلبث عبد المطلب يسقي الناس حتى توفي، فقام بأمر السقاية بعده العباس بن عبد المطلب، فلم تزل في يده، وكان للعباس كرم بالطائف، وكان يحمل زبيبه إليها، وكان يداين أهل الطائف، ويقتضي منهم الزبيب، فينبذ ذلك كله ويسقيه الحاج أيام الموسم حتى ينقضي، في الجاهلية وصدر الإسلام، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح، فقبض السقاية من العباس بن عبد المطلب، والحجابة من عثمان بن طلحة، فقام العباس بن عبد المطلب، فبسط يده، وقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، اجمع لنا الحجابة والسقاية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعطيكم ما ترزؤون فيه، ولا ترزؤون منه»؟ فقام بين عضادتي باب الكعبة، فقال: «ألا إن كل دم أو مال أو مأثرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدمي هاتين، إلا سقاية الحاج، وسدانة الكعبة، فإني قد أمضيتهما لأهلهما على ما كانتا عليه في الجاهلية». فقبضها العباس، فكانت في يده حتى توفي، فوليها بعده عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنه، فكان يفعل فيها كفعله دون بني عبد المطلب، وكان محمد بن الحنفية قد كلم فيها ابن عباس، فقال له ابن عباس: ما لك ولها؟ نحن أولى بها منك في الجاهلية والإسلام، قد كان أبوك تكلم فيها، فأقمت البينة، وطلحة بن عبيد الله، وعامر بن ربيعة، وأزهر بن عبد بن عوف، ومخرمة

بن نوفل، أن العباس بن عبد المطلب كان يليها في الجاهلية بعد عبد المطلب، وجدك أبو طالب في إبله في باديته بعرنة، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها العباس يوم الفتح دون بني عبد المطلب، فعرف ذلك من حضر، فكانت بيد عبد الله بن عباس بعد أبيه، لا ينازعه فيها منازع، ولا يتكلم فيها متكلم، حتى توفي، فكانت بيد علي بن عبد الله بن عباس، يفعل فيها كفعل أبيه وجده، يأتيه الزبيب من ماله بالطائف وينبذه، حتى توفي، وكانت بيد ولده حتى الآن. وأما القيادة فوليها من بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف، ثم وليها من بعده أمية بن عبد شمس، ثم من بعده حرب بن أمية، فقاد بالناس يوم عكاظ في حرب قريش وقيس عيلان، وفي الفجارين الفجار الأول والفجار الثاني، وقاد الناس قبل ذلك بذات نكيف في حرب قريش وبني بكر بن عبد مناة بن كنانة والأحابيش يومئذ مع بني بكر، تحالفوا على جبل يقال له الحبشي على قريش؛ فسموا الأحابيش بذلك، ثم كان أبو سفيان بن حرب يقود قريشًا بعد أبيه حتى كان يوم بدر، فقاد الناس عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان أبو سفيان بن حرب في العير يقود الناس، فلما أن كان يوم أحد قاد الناس أبو سفيان بن حرب، وقاد الناس يوم الأحزاب، وكانت آخر وقعة لقريش وحرب، حتى جاء الله بالإسلام وفتح مكة"[146]

عبد المطلب بن هاشم:

قام عبد المطلب، بوصفه سيد قومه، بالعديد من الخدمات الجليلة لمكة ولقبيلته قريش. وقد ظلت هذه الخدمات الكبيرة مؤثرة في مسار الأحداث إلى أزمان متطاولة.

[146] الأزرقي: " أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار"،1 / 109– 115.

ولعل من هذه المهام الكبيرة التي أنجزها عبد المطلب إعادة اكتشافه وحفره لبئر زمزم التي ظلت مدفونة، كما قيل، منذ أيام النبي إسماعيل ابن النبي إبراهيم.

ذات يوم، بينما كان عبد المطلب نائماً في الحجر بالقرب من الكعبة، سمع هاتفاً في المنام يدعوه إلى إعادة حفر بئر زمزم، فخرج عبد المطلب إلى قريش، وقال:

- يا معشر قريش، إني قد أمرت أن أحفر زمزم.
- فقالوا له: هل تبين لك أين هي؟
- فقال: لا.
- قالوا: فارجع إلى مضجعك الذي أريت فيه ما أريت، فإن كان حقاً من الله عز وجل بين لك، وإن كان من الشيطان لم يعد إليك.
- فرجع فنام في مكانه، فجائه النداء في المنام، يقول له:
- أحفر زمزم، إنك إن حفرتها لم تندم، هي تراث من أبيك الأقدم...
- فقال حين قيل له ذلك: أين هي؟
- فقيل له: عند قرية النمل، حيث ينقر الغراب غداً.

وذهب عبد المطلب ومعه الحارث ابنه، ولَم يكن له ولد غيره، في الْيَوْمَ التالي إلى قرية النمل، ووجد الغراب ينقر عندها، بين الوثنين: إساف ونائلة، اللذين كانت قريش تنحر الأضاحي عندهما.

وقد ذكرت عائشة أم المؤمنين، فيما بعد، عن هذين الصنمين، إساف ونائلة، أنهم كانوا يسمعون أن إسافا ونائلة رجل وامرأة من جرهم زنيا في الكعبة، فمسخهما الله حجرين.

جاء عبد المطلب بالمعول، فقام ليحفر، فأرادت قريش حين رأوا رغبته الجادة بحفر البئر من منعه من الحفر، وكانت الحجة أن الحفر يقع بين الصنمين الذي يعبدونهما، فقالوا لعبد المطلب:

- والله لا ندعك تحفر بين صنمينا هذين اللذين ننحر عندهما.
- فقال عبد المطلب لابنه الحارث: ذد عني، (يعني أبعدهم عني) حتى أحفر، فو الله لأمضين لما أمرت به.

فلما رأوا منه الجد، وأنه مصر جداً على رأيه، تركوه يحفر البئر، وبعد قليل تبين له الطمى، فكبر، فعرفت قريش أنه قد صدق وأنه نجح فيما كان يريد فعله، ولعلهم شعروا بالندم لأنهم منعوه من ذلك أول مرة، فقالوا:

- إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً، فأشركنا معك فيها.

فرفض عبد المطلب طلبهم هذا، وقال:

- ما أنا بفاعل، وإن هذا الأمر قد خصصت به من غيركم، وأعطيته لوحدي، ولَم يعط لكم.
- ويبدو أنهم قد بدأوا يدركون الخطأ الفادح الذي وقعوا به، فقالوا: فأنصفنا، فإنا غير تاركين هذا الأمر حتى نخاصمك فيها.
- وبسبب إصرارهم على الطلب، أضطر عبد المطلب إلى أن يقبل بحكم بينه وبينهم من أجل أن يحكم في هذه القضية الشائكة، فقال: هلموا إلى أمر نصف بيني وبينكم، نضرب عليها بالقداح.
- فقالوا: فكيف تصنع؟

- قال: أجعل للكعبة قدحين، ولكم قدحين، ولي قدحين، فمن خرج له شيء كان له.
- فقالوا: قد أنصفت، وقد رضينا.

فجعل قدحين أصفرين للكعبة، وقدحين أسودين لعبد المطلب، وقدحين أبيضين لقريش، ثم أعطوها الذي يضرب بالقداح، وقام عبد المطلب يدعو الله.

وضرب صاحب القداح، فخرج الأصفران على الغزالين الذين وجدهما عبد المطلب عند حفر البئر وجعلهما للكعبة، فضربهما عبد المطلب في باب الكعبة، وخرج الأسودان على السيوف والأدراع لعبد المطلب فأخذها.

وبعد أخذ ورد قررت قريش الاستسلام، وأقرت بحق عبد المطلب في بئر زمزم لأنه هو الذي حفرها واكتشفها بعد أن ظلت مطمورة آلاف السنين. [147]

[147] محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: 151هـ): "سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)"، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى 1398هـ /1978م، 1/ 23 – 25.

المبحث الثاني

بئر زمزم

بئر زمزم:

وكان عبد المطلب بن هاشم، قد نذر حين رأى ما الذي فعلته قريش عند حفر زمزم، أنه إذا ولد له عشرة أولاد، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه، لينحرن أحدهم لله عز وجل عند الكعبة.

فلما أصبح لديه عشرة من الأبناء، وهم الحارث، والزبير، وحجل، وضرار، والمقوم، وأبو لهب، والعباس، وحمزة، وأبو طالب، وعبد الله، وعرف أنهم سيمنعونه من الإيفاء بنذره، جمع أولاده، وأخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوا له، وقالوا له:

- كيف تصنع؟
- فقال: يأخذ كل رجل منكم قدحاً، فيكتب فيه اسمه، ثم تأتوني.

ففعلوا، ثم أتوه، فدخل بهم الكعبة للقاء (صاحب القداح) التي كانت داخل الكعبة.

- قال عبد المطلب: اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه.

وأخبره بنذره، وأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه، وكان عبد الله بن عبد المطلب، أبو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصغر بني أبيه، أحب ولد عبد المطلب إليه، وكان عبد المطلب يرغب في أن يخطأه السهم.

فخرج القدح على عبد الله، فاخذ عبد المطلب بيده، وأخذ السكين، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة، الوثنين اللذين تنحر عندهما قريش ذبائحها، ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا:

- ماذا تريد يا عبد المطلب؟
- فقال: أذبحه.

وقيل إن العباس بن عبد المطلب سحب عبد الله من تحت رجل أبيه حتى خدش وجهه خدشاً بقي في وجهه حتى مات.

وهنا قالت قريش وبنو عبد المطلب:

- والله لا تذبحه أبداً ونحن أحياء فإنك إن فعلت هذا سيأتي كل رجل بابنه حتى يذبحه.

وقالت قريش وبنو عبد المطلب له:

- لا تفعل، وانطلق إلى الحجاز فإن به عرافة يقال لها نجاح، لها تابع فسألها، فإن أمرتك بذبحه، ذبحته، وإن أمرتك بغير ذاك مما لك وله فيه فرج قبلته.
- فقال: نعم.

فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوها وسألوها، وقص عليها عبد المطلب شأنه وشأن ابنه وما كان نذر فيه.

- فقالت لهم: ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي، فأسأله، فخرجوا من عندها، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل.

ثم جاؤوا إليها، فقالت:

- نعم، قد جاءني الخبر، فكم الدية فيكم؟
- فقالوا: عشرة من الإبل، وكانت كذلك.
- فقالت: فارجعوا إلى بلادكم، فقدموا صاحبكم، وقدموا عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليها بالقداح، فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم عز وجل، فإذا خرجت القداح على الإبل، فقد رضي ربكم، فانحروها عنه، ونجي صاحبكم.

فخرجوا حتى قدموا مكة، وبدأوا بتنفيذ ما أخبرتهم به العراف، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، وظلوا يضربون القداح، وكل مرة يخرج السهم على اسم عبد الله، وظلوا يضربون بالقداح إلى أن وصل العدد إلى مائة من الإبل، حتى إذا بلغ عدد الإبل مائة خرج السهم أخيراً عليها، ونجى عبد الله من الذبح. [148]

بعدها انصرف عبد المطلب ومعه ابنه عبد الله، فمروا على امرأة من بني أسد ابن عبد العزى بن قصي، وهي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت إلى وجهه:

- أين تذهب يا عبد الله؟
- قال: مع أبي. قالت: لك عندي مثل الإبل التي نحرت عنك، وقع علي الآن.
- فقال: إن معي أبي الآن، ولا أستطيع خلافه ولا فراقه، ولا أريد أن أعصيه شيئاً.

فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة– ووهب يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً– فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً.

---

[148] عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ): "السيرة النبوية لابن هشام"، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، بدون تاريخ، 1/ 140– 143.

فدخل عليها عبد الله حين ملكها مكانه، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج من عندها حتى أتى المرأة التي قالت له ما قالت، وهي أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وهي في مجلسها، فجلس إليها، وقال:

- ما لك لا تعرضين علي اليوم مثل الذي عرضت عليّ أمس؟
- قالت: فارقك النور الذي كان فيك، فليس لي بك اليوم حاجة. [149]

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن عائشة رضي الله عنها أنه كانت تحمل ماء زمزم في القوارير وتذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وكان يصب على المرضى ويسقيهم.

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن صفية رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ماء زمزم شفاء من كل داء، وأخرج الدارقطني والحاكم وصححه من طريق مجاهد رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له فإن شربته تشتفي به شفاك الله وان شربته مستعيذا أعاذك الله وإن شربته ليقطع ظمؤك قطعه الله وإن شربته لشبعك أشبعك الله وهي عزيمة جبريل وسقيا إسمعيل عليهما السلام. قال: وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا شرب ماء زمزم قال: اللهم إني أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء، وأخرج عبد الرزاق وابن ماجة والطبراني والدارقطني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن عثمان بن الأسود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: من أين جئت قال: شربت من زمزم فقال: اشرب منها كما ينبغي، قال: وكيف ذاك يا أبا عباس قال: إذا شربت منها فاستقبل القبلة

[149] عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين: "السيرة النبوية لابن هشام"، 1/ 143- 145.

واذكر اسم الله واشرب وتنفس ثلاثا وتضلع منها فإذا فرغت فاحمد الله فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم.

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة زمز فأمر بدلو انتزع له من البئر فوضعها على شفة البئر ثم وضع يده من تحت عراقي الدلو ثم قال: بسم الله، ثم كرع فيها فأطال فرفع رأسه فقال: الحمد لله، ثم دعا، فقال: بسم الله، ثم كرع فيها فأطال وهو دون الأول ثم رفع رأسه فقال: الحمد لله، ثم دعا فقال: بسم الله، ثم كرع فيها وهو دون الثاني ثم رفع فقال: الحمد لله، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: علامة ما بيننا وبين المنافقين لم يشربوا منها قط حتى يتضلعوا .

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق. [150]

وأخرج الأزرقي عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: "علامة ما بيننا وبين المنافقين أن يدلوا دلوا من ماء زمزم فيتضلعوا منها ما استطاع منافق قط أن يتضلع منها"، وأخرج الأزرقي عن الضحاك بن مزاحم رضي الله عنه قال: بلغني أن التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وأن ماءها مذهب بالصداع وأن الاطلاع فيها يجلو البصر وأنه سيأتي عليها زمان تكون أعذب من النيل والفرات، وأخرج ابن أبي شيبة والأزرقي والفاكهاني عن كعب رضي الله عنه قال: إني لأجد في كتاب الله المنزل أن زمزم طعام طعم وشفاء سقم، وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور والأزرقي عن عبد الله بن عثمان بن خثيم رضي الله عنه قال: قدم علينا وهب بن منبه مكة فاشتكى فجئنا نعوده فإذا عنده من

[150] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ): "الدر المنثور"، الناشر: دار الفكر – بيروت، 4/ 152.

ماء زمزم فقلنا: لو استعذبت فإن هذا ماء فيه غلظ، قال: ما أريد أن أشرب حتى أخرج منها غيره والذي نفس وهب بيده إنها لفي كتاب الله مضنونة وإنها لفي كتاب الله طعام طعم وشفاء سقم والذي نفس وهب بيده لا يعمد إليها أحد فيشرب منها حتى يتضلع إلا نزعت داء وأحدثت له شفاء، وأخرج الأزرقي عن كعب رضي الله عنه، أنه قال: لزمزم إنا نجده مضنونة ضن بها لكم وأول من سقي ماءها اسمعيل عليه السلام طعام طهم وشفاء سقم، وأخرج عبد الرزاق في المصنف وسعيد بن منصور والأزرقي والحكيم الترمذي عن مجاهد رضي الله عنه قال: ماء زمزم لما شرب له إن شربته تريد الشفاء شفاك الله وإن شربته لظمأ رواك الله وإن شربته لجوع أشبعك الله وهي هزمة جبريل عليه السلام بعقبه وسقيا الله لإسمعيل عليه السلام، وأخرج بقية عن علي بن أبي طالبي رضي الله عنه قال: خير واد في الناس وادي مكة ووادي الهند الذي هبط به آدم عليه السلام ومنه يؤتى بهذا الطيب الذي تطيبون به، وشر واد الناس واد بالأحقاف ووادي حضر موت يقال له برهوت وخير بئر في الناس بئر زمزم وشر بئر في الناس بئر برهوت وإليها تجتمع أرواح الكفار، وأخرج الأزرقي من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صلوا في مصلى الأخيار واشربوا من شراب الأبرار، قيل لابن عباس: ما مصلى الأخيار قال: تحت الميزاب، قيل: وما شراب الأبرار قال: ماء زمزم. [151]

يبين العيني أن الحديث يدل على فضل ماء زمزم، لأن فيه: (ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم)، وهذا يدل قطعا على فضلها حيث اختص غسل صدره، عليه الصلاة والسلام، بمائها دون غيرها، وذلك لأنها ركضة جبريل، عليه الصلاة والسلام، وسقيا إسماعيل صلى الله عليه وسلم وتسمى: ركضة جبريل، عليه السلام، وهمزمة جبريل، وهزمة جبريل، بتقديم الزاي، وهزمة الملك، وتسمى: "الشباعة". وقال ابن عباس، رضي الله تعالى عنهما: "سميت

[151] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: " الدر المنثور"، 4/ 135.

زمزم لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالا، ولو تركت لساحت على وجه الأرض حتى ملأ كل شيء". وقال الحربي: "سميت بزمزمة الماء، وهو حركته"، وقال أبو عبيد: قال بعضهم: "إنها مشتقة من قولهم: ماء زمزوم وزمزام أي: كثير. قال الزمخشري: ورواه الخازرنجي: "شباعة"، وقال صاعد في (الفصوص) ومن أسمائها: "تكتم"، وقال الكلبي: "إنما سميت زمزم لأن بابل بن ساسان حيث سار إلى اليمن دفن سيوف قلعته وحلي الزمازمة في موضع بئر زمزم، فلما احتفرها عبد المطلب أصاب السيوف والحلي فيه سميت زمزم". وفي (الموعب): ماء زمزم وزمازم، وهو الكثير"، وعن ابن هشام: "الزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع"، وذكر المسعودي أن الفرس كانت تحج إليها في الزمن الأول، والزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشيمها. [152]

ومن فضائل زمزم: ما رواه مسلم: شرب أبو ذر منها ثلاثين يوما وليس له طعام غيرها. وأنه سمن، فأخبر النبي، صلى الله عليه وسلم، بذلك فقال: "إنها مباركة، إنها طعام طعم"، وزاد أبو داود الطيالسي في (مسنده) وشفاء سقم، وعن أم أيمن، قالت: "ما رأيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، شكى جوعا قط ولا عطشا، كان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربه، فربما عرضنا عليه الطعام فيقول: لا أنا شبعان، شبعان". ذكره في (المصنف الكبير) في شرف المصطفى، صلى الله عليه وسلم. وروى الحاكم في (المستدرك) من حديث ابن عباس، رضي الله تعالى عنهما، مرفوعا: "ماء زمزم لما شرب له"، رجاله ثقاة إلا أنه اختلف في إرساله ووصله، وإرساله أصح. وعن عقيل ابن أبي طالب، قال: "كنا إذا أصبحنا وليس عندنا طعام قال لنا أبي ائتوا زمزم فنأتيها فنشرب منها فنجتزىء"، وروى الدارقطني من

[152] أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ): " عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، 9/ 277.

حديث ابن عباس، رضي الله تعالى عنهما مرفوعا: "وهي هزمة جبريل وسقيا إسماعيل"، وروى الدارقطني أن عبد الله كان إذا شرب منها، قال: "اللهم إني أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء". وروى أحمد بإسناد جيد من حديث جابر في ذكر حجته، عليه السلام، ثم عاد إلى الحجر ثم ذهب إلى زمزم فشرب منها وصب على رأسه، ثم رجع فاستلم الركن ... الحديث. وذكر الزمخشري في (ربيع الأبرار) أن جبريل، عليه السلام، أنبط بئر زمزم مرتين: مرة لآدم، عليه السلام، حتى انقطعت زمن الطوفان، ومرة لإسماعيل عليه السلام، وروى ابن ماجه بإسناد جيد: أن ابن عباس، رضي الله تعالى عنه، قال لرجل: "إذا شربت من زمزم فاستقبل الكعبة، واذكر اسم الله، عز وجل، فإن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم". [153]

وقال عبدان أخبرنا عبد الله قال أخبرنا يونس عن الزهري قال أنس بن مالك كان أبو ذر رضي الله تعالى عنه يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقفي وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال جبريل.. مطابقته للترجمة في قوله: (ثم غسله بماء زمزم)، فإن ذكر زمزم جاء في الحديث وهو يدل على فضل زمزم حيث اختص غسله. [154]

---

[153] بدر الدين العيني: " عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، 9/ 277.

[154] بدر الدين العيني: " عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، 9/ 277.

المبحث الثالث

اليتيم

وولد محمد رسول الله عام الفيل:

عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة، عن أبيه، عن جده، قال: " ولدت أنا والنبي، عام الفيل". [155]

ودفع محمد إلى أمه، وبدأوا يبحثون له عن مرضعة ترضعه، والتي أرضعته حليمة ابنة أبي ذؤيب السعدية، واسم أبي رسول الله من الرضاعة الحارث ابن عبد العزى بن رفاعة. ورزق الله محمداً عدداً من الإخوة من الرضاعة، وهم: عبد الله بن الحارث، وأنيسة ابنة الحارث، وحذافة ابنة الحارث، وهي الشيماء، وقد عرفت بهذا الاسم، وهي لحليمة أم رسول الله، وذكروا أن الشيماء كانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه إذ كان عندهم.

---

[155] أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ): " شرح مشكل الآثار"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى – 1415 هـ، 1494 م، 15/ 216، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: 287هـ): " الآحاد والمثاني"، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة الناشر: دار الراية – الرياض الطبعة: الأولى، 1411 – 1991، 1/ 355، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م، 29/ 422.

ويبدو أن الله سبحانه أراد أن يعوض محمداً عن حالة اليتم التي عاشها منذ وقت مبكّر بوفاة والده عبد الله، فرزقه الله أماً من الرضاعة إلى جانب أمه التي ولدته، ولأنه ولد وحيداً فقد رزق أيضاً هؤلاء الإخوة من الرضاعة، وخصوصاً الشيماء.

ذكرت حليمة مرضعة رسول الله أنها قدمت مكة مع نسوة اخرين من بني سعد بن بكر، من أجل الحصول على أطفال للرضاعة، وفي سنة اتسمت بالقحط، حتى أنه لم يكن في ثديها حليب يكفي لولدها، فقدمت مكة مع النسوة الآخرين، وقد رأيت كيف أنه قد عرض محمد على كل النسوة، وكانت كل واحدة إذا عرض عليها محمد، وقيل لها أنه يتيم، رفضت أن تأخذه معها، وكن يظن أنه لا ينتفعن من أم الطفل اليتيم، ظناً منهن أنه ليس لديها شيء.

وهكذا، قدر لكل النسوة مع حليمة أن يحصلن على طفل، وبقي محمد لوحده من غير أن يحصل على مرضعة ترضعه.

تقول حليمة:

- فلما لم أجد غيره، قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى: والله إني أكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه.
- قال: لا عليك، فذهبت، فأخذته، فو الله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره.

وتضيف حليمة أنها لم أخذته، جاءت بها إلى رحله، فبدأ ثدياها بما كان يريد من لبن، فشرب حتى روي، وشرب أخوه من الرضاعة حتى روي، وقام زوج حليمة إلى الماعز التي كانت معهم، فحلب منها، وشربوا جميعاً حتى ارتووا، وكانت تلك الليلة حافلة بالخير لهم، فقال زوج حليمة:

- يا حليمة، والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة، ألم ترى إلى ما بتنا به الليلة من الخير حين أخذناه؟!

وتضيف حليمة:

- فلم يزل الله يزيدنا خيراً، حتى خرجنا راجعين إلى بلادنا، فو الله أن الحمار الذي كلن لها كان يركض، فما يلحق به حمار اخر، حتى أن صاحباتها كان يقلن لها.
- ويلك، يا بنت أبي ذؤيب، أهذه حمارتك التي خرجت عليها معنا؟
- فأقول: نعم، والله إنها لهي.
- فيقلن: والله إن لها لشأناً.

ثم قدموا إلى ديارهم في أرض بني سعد، تقول حليمة:

- وما أعلم أرضاً من أرض الله عز وجل أجدب منها، فإن كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعاً، لبناً، فنحلب ما شئنا، وما حولنا أحد تعطيه شاته قطرة لبن، وإن أغنامهم لتروح جياعاً، حتى أنهم ليقولون لرعيانهم: يحكم انظروا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب، فاسرحوا معهم، فيسرحون مع غنمي حيث تسرح، فيريحون أغنامهم جياعاً وما فيها قطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً، لبناً، نحلب ما شئنا، فلم يزل الله عز وجل يرينا البركة، ونتعرفها حتى بلغ سنتيه، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فو الله ما بلغ سنتيه حتى كان غلاماً كبيراً، ثم قدمنا به على أمه، ونحن أضن شيء به مما رأينا فيه من البركة.

وعندما وصلت النسوة إلى مكة، إلتقوا بأمهات الأطفال، فالتقت حليمة بأم محمد آمنة، فقالت لها:

- نحن نعلم أنك أم شديدة الحنان على إبنك، لكنا نرجوك أن نرجع به هذه السنة، فإنا نخشى عليه الأمراض في مكة.

وظلوا يحاولون إقناعها بأن يرجع معهم، حتى قالت: نعم، ووافقت أن يعود معهم.

وأقام معهم شهرين أو ثلاثة، وبينما هم خلف بيوتهم ، ومحمد مع أخ له من الرضاعة، جاء أخوه يركض وهو خائف ومرعوب، فقال:

- ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض، فأضجعاه فشقا بطنه.

فخرجت حليمة وأبو محمد من الرضاعة يركضون نحوه، فوجداه قائماً، منتقعا لونه، فاعتنقه أبوه، وقال: أي بني، ما شأنك؟

- قال محمد: "جاءني رجلان عليهما ثياب بياض، فأضجعاني فشقا بطني، ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه، ثم رداه كما كان".

فرجعنا به معنا، فقال أبوه:

- يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب، انطلقي بنا، فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما يتخوف.
- قالت حليمة: فعدنا به إلى أمه، فوجئت أمه عندما قد قدمنا به عليها، فقالت: جئتما به، قد كنتما عليه حريصين؟!
- فقلنا: لا والله يا أئيتها الأم الحنون، ألا إن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذي علينا، وقلنا: نخشى الإتلاف والأحداث، نرده إلى أهله.
- فقالت: ما ذلك بكما، فاصدقاني شأنكما.

- فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره.
- فقالت: أخشيتما عليه الشيطان، كلا والله ما للشيطان عليه سبيل، وإنه لكائن لابني هذا شأن، ألا أخبركما بخبره؟
- قلنا: بلى.
- قالت: حملت به، فما حملت حملاً قط أخف منه، فأريت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام، ثم وقع حين ولدته وقوعاً ما يقعه المولود، معتمداً على يديه، رافعاً رأسه إلى السماء، فدعياه عنكما. [156]

وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الواقعة، فيما بعد:

عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك، فقال: "دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينا أنا مع أخ لي في بهم لنا، أتاني رجلان عليهما ثياب بياض، معهما طست من ذهب مملوءة ثلجاً، فأضجعاني، فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقاه، فأخرجا منه علقة سوداء، فألقياها، ثم غسلا قلبي وبطني بذاك الثلج، حتى إذا أنقياه، رداه كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه:

[156] ابن إسحاق: "كتاب سيرة إبن إسحاق: السير والمغازي"، ص 49– 50.

زنه بعشرة من أمته، فوزنني بعشرة، فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزنني بألف، فوزنتهم، فقال: دعه عنك، فلو وزنته بأمته لوزنهم". [157]

حرب الفجار:

وأشيع أنه لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة أو خمس عشرة، وقيل: عشرين سنة، هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان. وكان الذي هاجها أن عروة الرحال ابن عتبة أجار لطيمة للنعمان بن المنذر فقال البراض بن قيس أحد بني ضمرة: أتجيرها على كنانة؟ قال: نعم وعلى الخلق. فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته حتى إذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام، فلذلك سمي الفجار. فأتى آت قريشا فقال: إن البراض قد قتل عروة وهم في الشهر الحرام بعكاظ. فارتحلوا وهوازن لا تشعر، ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم فأمسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما، وكان لكنانة وقيس فيه ستة أيام مذكورة: شمطة ويوم العبلاء وهما عند عكاظ، ويوم الشرب وهو أعظمها يوما وفيه قيد أبو سفيان وأمية وحرب أبناء أمية أنفسهم كي لا يفروا فسموا العنابس. ويوم الحريرة عند نخلة انهزمت قريش إلا بني نصر منهم فإنهم ثبتوا وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم أخرجه أعمامه معهم.

---

[157] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: 774هـ): "السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)"، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: 1395 هـ - 1976 م، 1/ 225– 229.

وروى ابن سعد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قد حضرته- يعني: حرب الفجار- مع عمومتي ورميت فيه بأسهم وما أحب أني لم أكن فعلته وكنت أنبل على أعمامي.

وكان آخر أيام الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءوا للموعد، وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة، وكان عتبة بن ربيعة يتيماً في حجره فضربه حرب وأشفق من خروجه معه فخرج عتبة بغير إذنه فلم يشعر إلا وهو على بعيره بين الصفين ينادي: يا معشر مضر علام تفانون؟ فقالت له هوازن: ما تدعو إليه؟ قال: الصلح على أن ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا. قالوا: وكيف ذاك؟ قال: ندفع إليكم رهنا منا. قالوا: ومن لنا بهذا، قال أنا: قالوا، ومن أنت: قال: أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. فرضوا ورضيت كنانة ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار. [158]

وعلى الرغم مما أشيع عن اشتراك الرسول في حرب الفجار، لكنه لم يثبت اشتراكه -صلى الله عليه وسلم- في حرب الفجار. فلعّل الله تعالى عصمه من المشاركة في هذه الحرب التي وقعت في الأشهر الحرم والله أعلم. [159]

---

[158] محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: 942هـ): "سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد"، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م، 2/ 152.

[159] العوشن، د. محمد عبد الله: "هل اشترك رسول الله في حرب الفجار؟"، مقال منشور في موقع " التاريخ الإسلامي"، في 2014/2/24، على الرابط الآتي: https://islamstory.com/-هل-اشترك-رسول-الله-في-حرب-الفجار

وأرادت قبائل من قريش عقد حلف فيما بينها، فاجتمعوا من أجل ذلك في دار عبد الله بن جدعان، لشرفه وسنه، وقد مثلت هذه القبائل المجتمعة: بنو هاشم، وبنو المطلب، وزهرة ابن كلاب، وأسد بن عبد العزى، وتيم بن مرة. فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا دفعوا عنه الظلم، وانتصروا له ممن ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول. [160]

وذات مرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الحلف، فقال: " لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت". [161]

بحيرى الراهب:

ورد ذكر بحيرى الراهب في عدد من كتب السنة النبوية، فمن ذلك:

قال أبو بكر الخلال: أخبرني عبد الملك، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا الفرات، قال: قلت لميمون بن مهران: أبو بكر كان أول إسلاما أو علي؟ فقال: «والله لقد آمن أبو بكر بالنبي

---

[160] أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: 581هـ): " الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام"، المحقق: عمر عبد السلام السلامي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م، 3/ 46 وما بعد.

[161] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ): " تهذيب الآثار (الجزء المفقود)"، المحقق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق / سوريا الطبعة: الأولى، 1416هـ – 1995م، ص 20، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (المتوفى: 1111هـ): " سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي"، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود– علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1998 م، 1/ 233.

زمن بحيرا الراهب، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه، وذلك قبل أن يولد علي رحمهما الله». [162]

وقال الترمذي: حدثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن غزوان، قال: أخبرنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري، عن أبيه، قال: خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت. قال: فهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك، فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاما، فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل، قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه، قال: فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا، إن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس وإنا قد أخبرنا خبره فبعثنا إلى طريقك هذا، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا. قال: أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا:

---

[162] أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: 311هـ): " السنة"، المحقق: د. عطية الزهراني الناشر: دار الراية – الرياض الطبعة: الأولى، 1410هـ – 1989م، 2/ 309.

لا، قال: فبايعوه وأقاموا معه قال: أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت.

قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه". [163]

إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل، وأجمع المسير صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما يزعمون – فرق له (أبو طالب) وقال: والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني، ولا أفارقه أبدا، أو كما قال. فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وبهما راهب يقال له بحيرى في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون، يتوارثونه كابرا عن كابر. فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا، وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في صومعته، في الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم. قال: ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه. فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته، ثم أرسل إليهم، فقال: إني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحركم: فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم، فما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيرا، فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرى: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلوا

[163] محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): " الجامع الكبير – سنن الترمذي"، المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة النشر: 1998 م، 6/ 19 – 20.

منه كلكم. فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم، لحداثة سنه، في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي، قالوا له: يا بحيرى، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سنا، فتخلف في رحالهم، فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم. قال: فقال رجل من قريش مع القوم، واللات والعزى، إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم. فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى، فقال (له): يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرى ذلك، لأنه سمع قومه يحلفون بهما. فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (له): لا تسألني باللات والعزى، فو الله ما أبغضت شيئا قط بغضهما، فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له: سلني عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.

وكان مثل أثر المحجم...

فلما فرغ، أقبل على عمه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال له بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما

فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، .... فإنه كائن لأبن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده. [164]

[164] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): "البداية والنهاية "، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م سنة النشر: 1424هـ / 2003م، 3/ 435- 437.

المبحث الرابع

النبي

وهو: محمد، صلى الله عليه وسلم، وأحمد، والماحي: يمحو الله به الكفر، والحاشر: يحشر الناس على عقبيه، والعاقب: ليس بعده نبي، والمقفى، ونبي التوبة، ونبي الملحمة، وسماه الله تعالى: رؤوفاً رحيماً.

كان محمد ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، ولا بالأبيض الشديد البياض الذي لا يخالط بياضه شيء من الحمرة. ولا الأسمر، ولا طويل الشعر ولا قصيره، رجل الشعر، أزهر اللون، مشرباً بحمرة في بياض ساطع، كأن وجهه القمر حسناً، ضخم العظام المتلقية في المفاصل، وكانت رموش عينيه فيها طول، وفي بياض عينيه عروق حمر رقاق، حسن الثغر، واسع الفم، حسن الأنف، إذا مشى كأنه يتكفأ أي أنه إذا مشى تمايل إلى قدام كما تتكفأ السفينة في جريها. إذا التفت التفت بجميعه، كثير النظر إلى الأرض، ضخم اليدين لينهما، قليل لحم العقبين، كث اللحية واسعها، أسود الشعر، ليس لرجليه أخمص، إذا طول شعره فإلى شحمة أذنيه ومع كتفه، وإذا قصره فإلى أنصاف أذنيه، لم يبلغ شيب رأسه ولحيته عشرين شيبة. [165]

[165] أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ): " جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم"، المحقق: إحسان عباس الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: 1، ص 21-22.

شق الصدر النبوي:

عن شريك بن عبد الله، أنه قال: سمعت أنس بن مالك، يقول: " ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة، أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلةً أخرى، فيما يرى قلبه، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه، فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم بيده، حتى أنقى جوفه، ثم أتي بطست من ذهب فيه تور من ذهب، محشوًا إيمانًا وحكمةً، فحشا به صدره ولغاديده – يعني عروق حلقه – ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابًا من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا؟ فقال جبريل: قالوا: ومن معك؟ قال: معي محمد، قال: وقد بعث؟ قال: نعم، قالوا: فمرحبًا به وأهلًا، فيستبشر به أهل السماء، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلم عليه ورد عليه آدم، وقال: مرحبًا وأهلًا بابني، نعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، فقال: ما هذان النهران يا جبريل؟ قال: هذا النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى به في السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر، قال: ما هذا يا جبريل؟، قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك، ثم عرج به إلى السماء الثانية، فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى من هذا، قال جبريل: قالوا: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم، قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحبًا به وأهلًا، ثم عرج به إلى السماء الثالثة، وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى الرابعة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فقالوا

مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السادسة، فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فقالوا له مثل ذلك، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم، فأوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله، فقال موسى: رب لم أظن أن يرفع علي أحد، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا للجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى إليه: خمسين صلاةً على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى، فاحتبسه موسى، فقال: يا محمد، ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إلي خمسين صلاةً كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل: أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار، فقال وهو مكانه: يا رب خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا، فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى، فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس، فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة، فقال: يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم فخفف عنا، فقال الجبار: يا محمد، قال: لبيك وسعديك، قال: إنه لا يبدل القول لدي، كما فرضته عليك في أم الكتاب، قال: فكل حسنة بعشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب، وهي خمس عليك، فرجع إلى موسى، فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، قال موسى: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضًا، قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: يا موسى، قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه، قال: فاهبط باسم الله قال: واستيقظ وهو في مسجد الحرام " [166]

وقد روت عائشة أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحظات الأولى التي جاء فيها الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت:

أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: " فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾} [العلق: 2] "

---

[166] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ عدد الأجزاء: 9 [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج، ومتن مرتبط بشرحيه فتح الباري لابن رجب ولابن حجر] مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق كالتالي: رقم الحديث (والجزء والصفحة) في ط البغا، يليه تعليقه، ثم أطرافه، 9/ 149 –

فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو مخرجي هم»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي. [167]

[167] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ عدد الأجزاء: 9 [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج، ومتن مرتبط بشرحيه فتح الباري لابن رجب ولابن حجر] مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق كالتالي: رقم الحديث (والجزء والصفحة) في ط البغا، يليه تعليقه، ثم أطرافه، 1/ 7.

أمر أهم من الشمس والقمر:

عن عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة إبني ربيعة، وأبا سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث أخا بني عبد الدار، وأبا البختري أخا بني أسد، والأسود بن المطلب بن أسد، وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أمية، وأمية بن خلف، والعاصي ابن وائل، ونبيه ومنبه ابني الحجاج السهميين اجتمعوا، أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض:

- ابعثوا إلى محمد وكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه.

فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعاً وهو يظن أن قد بدا لهم في أمره بداء، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم فقالوا له:

- يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، ولقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا سودناك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك به رئى تراه قد غلب عليك- وكانوا يسمون التابع

من الجن رئى، فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك. [168]

فقال لهم رسول صلى الله عليه وسلم:

- "ما أدري ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوا علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم"، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقالوا:

- يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فإنك قد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ولا أقل ماء، ولا أشد عيشاً منا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليجري فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا فيهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً، نسلهم عما تقول أحق هو أم باطل، فإن صنعت لنا ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول.

---

[168] محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: 151هـ): " سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)"، تحقيق: سهيل زكار الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: الأولى 1398هـ /1978م، ص 197 – 198.

- فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بهذا بعثت إنما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أرسلت به فإن تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم. [169]
- فقالوا: فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بها تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه، وحتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم.
- فقال لهم رسول صلى الله عليه وسلم: ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسل ربه هذا ولا بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.
- قالوا: فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل.
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذلك إليه إن شاء فعل ذلك بكم".

قالوا: يا محمد فاعلم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى تهلك أو تهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة وهن بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً، فلما قالوا له ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، وقام معه عبد الله

[169] محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: " سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)"، ص 198.

بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهو ابن عمته، ابن عاتكة بنت عبد المطلب، فقال له:

يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل، ثم أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب، فو الله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، ثم تأتي معك بصك منشور ومعك أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول، وإيم الله أن أن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزيناً آسفاً لما فاته مما كان فيه يطمع من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه. [170]

فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل:

يا معشر قريش إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا، وسب آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك وامنعوني فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره، وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدوا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقبلته إلى الشام وكان إذا صلى صلى بين الركنين الأسود واليماني، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع متهيباً

[170] محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: 151هـ): " سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)"، ص 198 – 199.

منتقعاً قد تغير لونه مرعوباً قد يبست يده على حجره حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش فقالوا:

ما لك يا أبا الحكم؟

- فقال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة، ولما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهم بأن يأكلني.

عن ابن إسحق قال: فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

ذلك جبريل لو دنا لأخذه. [171]

ثم لما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صارت له أتباع وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أنصاره وأصحابه من المهاجرين إليهم تحدوا خروجه صلى الله عليه وسلم، فاجتمعت قريش في دار الندوة للمشاورة في إخراجه أو حبسه أو قتله، وهي دار قصي بن كلاب، وهو أول من بناها، وكانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها، ومنعوا الناس من الدخول إليهم، لئلا يدخل أحد من بنى هاشم، فيطلع على حالهم، فلما قعدوا للتشاور ظهر لهم إبليس بصورة شيخ نجدى فوقف علي الباب، فلما رأوه قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد، سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا منى رأياً ونصحاً قالوا: ادخل. فدخل، وكان قد اجتمع فيها أشراف قريش من كل قبيلة.

[171] محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: " سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)"، ص 199 – 200.

وقيل إنهم كانوا خمسة عشر رجلاً، وقيل إنهم كانوا مائة رجل. ثم شرعوا في الكلام فقال بعضهم: إن هذا الرجل- يعني محمداً صلى الله عليه وسلم- قد كان من أمره ما كان، وإنا لا نأمن منه الوثوب علينا بمن اتبعه، فأجمعوا فيه رأياً، فقال بعضهم: رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه، وتسدوا بابه، غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها وتربصوا به ريب المنون حتي يهلك فيه، كما هلك من الشعراء من كان قبله، كزهير والنابغة. فصرخ الشيخ النجدى (عدو الله ورسوله) فقال: بئس الرأي؛ والله لو حبستموه لخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه فوثبوا وانتزعوه من أيديكم، قالوا: صدق الشيخ، وقال بعضهم: رأيي أن تحملوه علي جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع، واسترحتم. فقال الشيخ: والله ما هذا لكم برأي؛ ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال مما يأتى به، فو الله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يبايعوه، ثم يسير بهم حتى يطأكم بهم. فقالوا: صدق الشيخ.

فقال أبو جهل: أرى أن يعطى خمسة رجال من خمس قبائل سيفاً فيضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في هذه البطون، فلا يقدر بنو هاشم على حرب قومهم جميعاً، فصوب الشيخ النجدى قول أبى جهل. فتفرقوا على رأيه مجمعين على قتله، فأخبر جبريل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مما أنزل عليه في ذلك اليوم: { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } [الأنفال: 3].[172]

[172] حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (المتوفى: 966هـ): " تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس"، الناشر: دار صادر – بيروت، 1/ 322.

عن محمد بن كعب القرظي قال: لما اجتمعوا وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم على بابه: إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها، قال: وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: «نعم أنا أقول ذلك، وأنت أحدهم»

وأخذ الله أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم إلى قوله: فأغشيناهم فهم لا يبصرون [1] حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: وما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمدا، قال: قد خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته، أفما ترونها بكم:

قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش مستجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائما عليه برده، فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي على الفراش فقالوا: والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا، فكان مما أنزل الله من القرآن في ذلك وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين [2] وقول الله تعالى، أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين. [173]

[173] محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: 734هـ): " عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير"، تعليق: إبراهيم محمد رمضان الناشر: دار القلم – بيروت الطبعة: الأولى، 1414/1993، 1/ 207.

أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أول أزواج محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم: خديجة بنت خويلد تزوجها عليه الصلاة والسلام وهو ابن خمس وعشرين سنة، وماتت رضي الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنين، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت. وكانت قبله عند عتيق بن عابد بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم، فولدت له عبد الله، ثم خلف عليها أبو هالة، واسمه هند بن زرارة بن النباش بن عدي بن حبيب بن صرد بن سلامة بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم، فولدت له ابنين ذكرين، وهما: هند والحارث، وابنة اسمها زينب. فأما هند بن هند فشهد أحداً، وسكن البصرة، وروى عنه الحسن بن علي بن أبي طالب وأما الحارث فقلته أحد الكفار عند الركن اليماني.

فلما ماتت خديجة تزوج عليه السلام سودة بنت زمعة وكانت قبله عند ابن عمها السكران بن عمرو بن عبد شمس، فمات عنها.

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق، يتزوج بكراً غيرها.

ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب بعد الهجرة بسنتين وأشهر. وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي، فمات عنها، وتوفيت سنة خمس وأربعين، وصلى عليها مروان، وهو أمير المدينة.

ثم تزوج زينب بنت خزيمة، وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، قتل يوم بدر. وتوفيت زينب في حياته بعد ضمه لها بشهرين.

وتزوج أم سلمة، واسمها هند، بنت أبي أمية. وكانت قبله عند أبي سلمة، واسمه عبد الله، بن عبد الأسد المخزومي، فولدت له عمر، وسلمة، ودرة، وزينب؛ وهي آخر نسائه موتاً، ماتت سنة تسع وخمسين.

وتزوج زينب بنت جحش وكانت قبله صلى الله عليه وسلم عند زيد بن حارثة مولاه، وهي أول نسائه موتاً بعده، ماتت في أول خلافة عمر، وهي التي زوجها الله تعالى منه، ولما فتحت البلاد وآتاها عمر ما فرض لها بكت وأعولت، ودعت إلى الله عز وجل أن لا يريها عاماً قابلاً حتى تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما فارقته من التقلل في الدنيا، فماتت قبل تمام العام.

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث، وكانت قبله عند رجل من بني عمها، اسمه عبد الله بن جحش الأسدي، وتوفيت سنة ست وخمسين في ربيع الأول.

ثم تزوج أم حبيبة، واسمها رملة، وقيل هند، بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، فيما بعد الحديبية، سيقت إليه من بلاد الحبشة، وكانت هنالك مهاجرة مسلمة، وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش الأسدي، فارتد إلى النصرانية. قيل: إن النجاشي أصدقها أربعمائة دينار ذهباً، وماتت في خلافة أخيها معاوية، سنة أربع وأربعين.

وتزوج إثر فتح خيبر صفية بنت حيي بن أخطب، من بني النضير، من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم هرون بن عمران أخي موسى بن عمران عليهما السلام، وهو عمران بن قاهاث بن لاوي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقوب بن رسول الله صلى الله عليه وسلم اسحق ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم رسول الله وخليله. وكانت قبله تحت كنانة بن أبي الحقيق.

ثم تزوج ميمونة بنت الحارث، وهي خالة خالد بن الوليد وعبد الله ابن عباس، وهي آخر من تزوج صلى الله عليه وسلم. [174]

[174] أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: 581هـ): " الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام"، المحقق: عمر عبد السلام السلامي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م، 7/ 559 – 566.

المبحث الخامس

إسلام الصحابة

إسلام حمزة بن عبد المطلب

عم النبي – صلى الله عليه وسلم –

قال يونس بن بكير: عن محمد بن إسحاق حدثني رجل من أسلم وكان واعية أن أبا جهل اعترض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عند الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه ما يكره من العيب لدينه، فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه منها شجة منكرة، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة ; لينصروا أبا جهل منه، وقالوا: ما نراك يا حمزة إلا قد صبأت. قال حمزة: ومن يمنعني وقد استبان لي منه، وأنا أشهد أنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأن الذي يقول حق، فوالله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين. فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة ; فإني والله لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا. فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد عز وامتنع، فكفوا عما كانوا يتناولون منه، وقال حمزة في ذلك شعرا. [175]

---

[175] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): " البداية والنهاية"، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، 1418 هـ – 1997 م سنة النشر: 1424هـ / 2003م، 4/ 83.

قال ابن إسحاق: ثم رجع حمزة إلى بيته، فأتاه الشيطان، فقال: أنت سيد قريش، اتبعت هذا الصابئ، وتركت دين آبائك، للموت خير لك مما صنعت. فأقبل على حمزة بثه، وقال: ما صنعت! اللهم إن كان رشدا فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا. فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان، حتى أصبح فغدا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال يا بن أخي، إني قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد هو أم غي، شديد، فحدثني حديثا فقد اشتهيت يا بن أخي أن تحدثني. فأقبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فذكره ووعظه، وخوفه وبشره، فألقى الله في قلبه الإيمان بما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. فقال: أشهد أنك الصادق شهادة الصدق، فأظهر يا بن أخي دينك، فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء وأني على ديني الأول. فكان حمزة ممن أعز الله به الدين. وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير به. [176]

إسلام أبي ذر:

عن أبي ذر، قال: كنت ربع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع، أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.. فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم..

[176] البداية والنهاية المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م سنة النشر: 1424هـ / 2003م، 4/ 84.

وعن ابن عباس.. قال لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، فاسمع من قوله ثم ائتنى.. فانطلق الآخر حتى قدمه وسمع من كلامه، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاما ما هو بالشعر.

فقال: ما شفيتني مما أردت.. فتزود وحمل شنة [له] فيها ماء، حتى قدم مكة، فأتى المسجد فالتمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه بعض الليل [اضطجع] فرآه عليا فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعة ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شئ حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي صلى الله عليه. وسلم حتى أمسي، فعاد إلى مضجعه.. فمر به علي فقال: أما آن للرجل [أن] يعلم منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاجبه عن شئ.. حتى إذا كان يوم الثالث فعاد [علي] علي مثل ذلك، فأقام معه فقال: ألا تحدثني بالذى أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهدا وميثاقا لترشدنني فعلت.. ففعل فأخبره.. قال: فإنه حق، وإنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، وإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي.. ففعل، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه.

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري".. فقال: والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين ظهرانيهم.. فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم قام [القوم] فضربوه حتى أضجعوه.. فأتى العباس فأكب عليه فقال: ويلكم! ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام؟! فأنقذه منهم.. ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثأروا إليه فأكب العباس عليه.. هذا

لفظ البخاري.. وقد جاء إسلامه مبسوطا في صحيح مسلم وغيره.. فقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت قال أبو ذر: خرجنا من قومنا غفار، وكانوا يحلون الشهر الحرام، أنا وأخي أنيس وأمنا. [177]

فانطلقنا حتى نزلنا على خال لنا ذي مال وذي هيئة، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا، فحسدنا قومه فقالوا له: إنك إذا خرجت عن أهلك خلفك إليهم أنيس.. فجاء خالنا فنثى ما قيل له (فقلت له: أما ما مضى من معروفك فقد كدرته، ولا جماع لنا فيما بعد.. قال: فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها، وتغطى خالنا بثوبه وجعل يبكي.. قال: فانطلقنا حتى نزلنا حضرة مكة، قال فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها، فأتيا الكاهن فخير أنيسا.. فأتانا بصرمتنا ومثلها.. وقد صليت يا بن أخي، قبل أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين.. قال: قلت لمن؟ قال: لله.. قلت: فأين توجه؟ قال: حيث وجهني الله.

قال: وأصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألفيت كأني خفاء حتى تعلوني الشمس.. قال: فقال أنيس: إن ل حاجة بمكة فألقني حتى آتيك.. قال: فانطلق فراث علي، ثم أأني فقلت: ما حبسك قال: لقيت رجلا يزعم أن الله أرسله على دينك، قال: فقلت: ما يقول الناس له؟ قال: يقولون إنه شاعر وساحر.. وكان أنيس شاعرا.. قال: فقال: لقد سمعت الكهان فما يقول بقولهم، وقد وضعت قوله على إقراء الشعر فو الله ما يلتئم لسان أحد أنه شعر، ووالله إنه لصادق وإنهم لكاذبون.. قال: فقلت له: هل أنت كأفي حتى أنطلق؟ قال: نعم! وكن من أهل مكة على حذر، فإنهم قد شنعوا له وتجهموا له.

---

[177] ابن كثير: " البداية والنهاية"، 4/ 85 – 89.

قال: فانطلقت حتى قدمت مكة فتضعفت رجلا منهم فقلت: أين هذا الرجل الذي. يدعونه الصابئ؟ قال: فأشار إلى.. فمال أهل الوادي علي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا على، ثم ارتفعت حين ارتفعت كأني نصب أحمر، فأتيت زمزم فشربت من مائها وغسلت عني الدم ودخلت بين الكعبة وأستارها، فلبثت به يا بن أخي ثلاثين من يوم وليلة مالي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع.. قال فبينا أهل مكة في ليلة قمراء إضحيان وضرب الله على أشحمة أهل مكة، فما يطوف بالبيت غير امرأتين، فأتتا على وهما يدعوان إساف ونائلة.

فقلت: أنكحوا أحدهما الاخر.

فما ثناهما ذلك.. فقلت: وهن مثل الخشبة غير أنى لم أركن.. قال: فانطلقتا يولولان ويقولان: لو كان ههنا أحد من أنفارنا.. قال: فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهما هابطان من الجبل فقالا: مالكما؟ فقالتا: الصابئ بين الكعبة وأستارها.. قالا: ما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمة تملأ الفم.. قال: وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت، ثم صلى.. قال: فأتيته فكنت أول من حياه بتحية أهل الإسلام.. فقال: "عليك السلام ورحمة الله.. من أنت؟" قال: قلت: من غفار، قال: فأهوى بيده فوضعها على جبهته، قال: فقلت في نفسي: كره أن انتميت إلى غفار.. قال: فأردت أن آخذ بيده فقذفني صاحبه، وكان أعلم به منى.. قال: متى كنت ههنا؟ قال: قلت: كنت ههنا منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم.

قال: فمن كان يطعمك؟ قلت: ما كان إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت. عكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع.. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنها

مباركة، إنها طعام طعم".. قال: فقال أبو بكر: ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة.. قال: ففعل.. قال: فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وانطلقت معهما، حتى فتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، قال: فكان ذلك أول طعام أكلته بها.. فلبثت ما لبثت.. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني قد وجهت إلى أرض ذات نخل ولا أحسبها إلا يثرب، فهل أنت مبلغ عني قومك، لعل الله ينفعهم بك ويأجرك فيهم"؟ قال: فانطلقت حتى أتيت أخي أنيسا، قال: فقال لي: ما صنعت؟ قال: قلت صنعت أني أسلمت وصدقت.

ثم أتينا أمنا فقالت: ما بي رغبة عن دينكما، فإني قد أسلمت وصدقت، فتحملنا حتى أتينا قومنا غفار، قال فأسلم بعضهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان يؤمهم خفاف بن أيماء بن رخصة الغفاري وكان سيدهم يومئذ.. وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا.. قال: فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم بقيتهم.. قال: وجاءت أسلم فقالوا: يا رسول الله إخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه.. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله".. ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة به نحوه.. وقد روى قصة إسلامه على وجه آخر وفيه زيادات غريبة فالله أعلم.. وتقدم ذكر إسلام سلمان الفارسي في كتاب البشارات بمبعثه عليه الصلاة والسلام. [178]

[178] ابن كثير: " البداية والنهاية"، 4/ 89 – 90.

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه ليلى قالت: كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في اسلامنا، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة، جاءني عمر بن الخطاب وأنا على بعيري نريد ان نتوجه، فقال: اين يا أم عبد الله؟ فقلت له: آذيتمونا في ديننا فنذهب إلى أرض الله عز وجل حيث لا نؤذى في عبادة الله، فقال: صحبكم الله، فذهب، ثم جاءني زوجي عامر ابن ربيعة، فأخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال: أترجين يسلم؟ فقلت: نعم، فقال: والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب.

ثم إن قريشاً بعثت عمر بن الخطاب- وهو يومئذ مشرك- في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في دار في أصل الصفا، ولقيه النحام وهو نعيم بن عبد بن أسد، أخو بني عدي بن كعب، قد اسلم قبل ذلك، وعمر متقلد سيفه، فقال: يا عمر اين تراك تعمد؟ [179]

فقال: اعمد إلى محمد هذا الذي سفه احلام قريش، وسفه آلهتها، وخالف جماعتها، فقال له النحام: والله لبئست الممشى مشيت يا عمر، ولقد فرطت، واردت هلكة بني عدي بن كعب، او تراك تنفلت من بني هاشم، وبني زهرة وقد قتلت محمداً- صلى الله عليه وسلم-؟!

فتحاورا حتى ارتفعت أصواتهما، فقال له عمر: إني لأظنك قد صبأت، ولو اعلم ذلك لبدأت بك، فلما رأى النحام انه غير منته قال: فإني اخبرك، إن اهلك واهل ختنك قد أسلموا وتركوك وما انت عليه من ضلالتك، فلما سمع عمر تلك المقالة يقولها قال: فأيهم؟ قال: ختنك وابن عمك واختك، فانطلق عمر حتى اتى اخته.

[179] محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: " سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)"، ص 181.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اتته الطائفة من اصحابه من ذوي الحاجة نظر إلى اولى السعة فيقول: عندك فلان فليكن إليك، فوافق ذلك ابن عم عمر وختنه زوج اخته سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فدفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خباب بن الأرت، مولى ثابت بن ام انمار حليف بني زهرة، وقد أنزل الله عز وجل «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرةً لمن يخشى» وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ليلة الخميس فقال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي الحكم بن هشام، فقال ابن عم عمرو واخته: نرجو ان تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر، فكانت. [180]

فأقبل عمر حتى انتهى إلى باب اخته ليغير عليها ما بلغه من اسلامهما، فإذا خباب بن الآرت عند اخت عمر يدرس عليها طه، ويدرس عليها إذا الشمس كورت، وكان المشركون يدعون الدراسة الهينمة، فدخل عمر فلما ابصرته اخته عرفت الشر في وجهه فخبأت الصحيفة، وراغ خباب فدخل البيت، فقال عمر لأخته:

ما هذه الهينمة في بيتك؟ قالت: ما عدا حديثاً نتحدث به بيننا، فعذلها وحلف الا يخرج حتى تبين شأنها، فقال له زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: إنك لا تستطيع ان تجمع الناس على هواك يا عمر وإن كان الحق سواه، فبطش به عمر فوطئه وطئاً شديداً وهو غضبان، فقامت إليه اخته تحجره عن زوجها فنفحها عمر بيده فشجها، فلما رأت الدم قالت: هل تسمع يا عمر، أرأيت كل شيء بلغك عني مما يذكر من تركي آلهتك وكفري باللات والعزى فهو حق، اشهد الا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، فائتمر امرك، واقض ما انت قاض، فلما رأى ذلك عمر سقط في يديه، فقال عمر لأخته: أرأيت ما كنت تدرسين اعطيك موثقاً من الله لا امحوها حتى اردها إليك، ولا اريبك فيها، فلما رأت ذلك

[180] محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: " سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)"، ص 181 – 182.

اخته، ورأت حرصه على الكتاب رجت ان تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم له، فقالت: إنك نجس (لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)، ولست آمنك على ذلك، فاغتسل غسلك من الجنابة، واعطني موثقاً تطمئن إليه نفسي ففعل عمر، فدفعت إليه الصحيفة، وكان عمر يقرأ الكتاب، فقرأ «طه» حتى إذا بلغ { إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ أُخْفِيها لِتُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعى} إلى قوله { فَتَرْدى } وقرأ { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ }حتى بلغ { عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ } فأسلم عند ذلك عمر، فقال لأخته، وختنه: كيف الاسلام؟ قالا: تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وتخلع الآنداد، وتكفر باللات والعزى، ففعل ذلك عمر، وخرج خباب، وكان في البيت داخلاً، فكبر خباب وقال: أبشر يا عمر بكرامة الله فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا لك أن يعز الله الاسلام بك. [181]

قال عمر: فدلوني على المنزل الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له خباب بن الأرت: أنا أخبرك، فأخبره أنه في الدار التي في أصل الصفا، فأقبل عمر، وهو حريص على أن يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر يطلبه ليقتله ولم يبلغه اسلامه، فلما انتهى عمر إلى الدار استفتح، فلما رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر متقلدا بالسيف، أشفقوا منه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل القوم قال: افتحوا له فإن كان الله عز وجل يريد بعمر خيراً اتبع الاسلام وصدق الرسول، وإن كان يريد غير ذلك لم يكن قتله علينا هينا، فابتدره رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى إليه، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع صوت عمر، وليس عليه رداء، حتى أخذ بمجمع قميص عمر، ورداءه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أراك منتهياً يا عمر حتى ينزل الله

[181] محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: " سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)"، ص 182 – 183.

بك من الرجز ما أنزل بالوليد بن المغيرة، ثم قال: اللهم اهد عمر، فضحك عمر، فقال: يا نبي الله أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فكبر أهل الإسلام تكبيرة واحدة سمعها من وراء الدار والمسلمون يومئذ بضعة وأربعون رجلاً واحدى عشرة امرأة. [182]

إسلام سلمان الفارسي:

روي أن سلمان كان رجلاً فارسياً من أهل أصفهان من قرية يقال لها خبى، وكان أبوه مجوسياً دهقان قريته وكان يحبه وكان يحبسه فى بيته كما تحبس الجارية فى بيتها فوّض اليه أمراً يقاد النار وتعهدها. وكانت لأبيه ضيعة عظيمة فشغل يوماً فى بنيان له عن أمر الضيعة، وأرسل سلمان اليها فأمره فيها ببعض ما يريد فخرج سلمان يريد الضيعة فمرّ بكنيسة من كنائس النصارى فسمع أصواتهم فيها وهم يصلون فدخل عليهم ينظر ما يصنعون، فلما رآهم أعجبته صلاتهم ورغب فى أمرهم فقال: هذا والله خير من الذى نحن عليه فمكث عندهم، حتى غربت الشمس وترك ضيعة أبيه، فسألهم: أين أصل هذا الدين قالوا بالشأم.

ثم رجع الى أبيه، فسأله أبوه: أين كنت يا بني؟ قال: مررت بقوم يصلون فى كنيسة لهم أعجبنى ما رأيته من دينهم، قال: أي بني ليس ذاك الدين خيراً من دينك ودين آبائك، قال: كلا والله إنه لخير من ديننا فخافه فجعل فى رجله قيداً ثم حبسه فى بيته فبعث سلمان دسيساً إلى النصارى، فقال لهم: إذا قدم عليكم من الشام ركب تجار من النصارى فأخبرونى بهم، فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروه بقدوم التجار وارادتهم الرجوع الى الشأم، فألقى سلمان الحديد من رجله ثم خرج معهم حتى قدم الشأم وسأل: من أفضل أهل هذا

[182] محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: " سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)"، ص 183 – 184.

الدين، فقالوا الأسقف فى الكنيسة فجاء فأقام عنده فخدمه حتى مات، وكان رجل سوء فلما مات هو نصبوا مكانه رجلاً آخر فأقام سلمان عنده، فلما حضرته الوفاة أوصى به الى رجل بالموصل فلحق سلمان بصاحب الموصل فأقام عنده وخدمه ولما حضرته الوفاة أوصى به الى رجل من نصيبين فلحق سلمان بصاحب نصيبين، وأقام عنده وخدمه، ولما حضرته الوفاة أوصى به إلى رجل بعمورية، فلحق سلمان بصاحب عمورية وأقام عنده، واكتسب بها فحصل له بقرات وغنيمات.، فلما حضرته الوفاة إستوصاه سلمان، فقال: له يا بني والله ما أعلم أحداً من الناس فيه خير ومعرفة بهذا الدين آمرك أن تأتيه، ولكن أظلك زمان نبىّ هو مبعوث بدين ابراهيم عليه السلام يخرج بأرض العرب يهاجر الى أرض بين حرّتين بينهما نخل به علامات ظاهرة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوّة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

ثم مات ومكث سلمان بعمورية ما شاء الله ثم مرّ به نفر من بنى بكر أو بنى كلب، فقال لهم: أتحملوننى الى أرض العرب أعطيكم بقراتى هذه وغنيماتى، قالوا: نعم فأعطاهم اياها فحملوه حتى اذا قدموا به وادى القرى باعوه من يهودى فأقام سلمان عنده ورأى بها النخل فرجاً أن يكون البلد الذى وصف له صاحبه بعمورية، فبينما هو عنده اذ قدم عليه ابن عم له من المدينة من بنى قريظة فاشتراه منه فاحتمله الى المدينة، فقال سلمان: فو الله لما رأيتها عرفتها بوصف صاحبى بعمورية، فأقام بها سلمان فبعث الله رسوله بمكة فأقام بها ما أقام لم يسمع له سلمان ذكراً مع ما به من شغل سيده وخدمته ثم هاجر رسول الله صلّى الله عليه وسلم الى المدينة.

فبينما كان سلمان فى رأس نخل لسيده يعمل فيه بعض العمل وسيده جالس تحت النخل اذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: يا فلان قاتل الله بنى قيلة يعنى الأنصار،

والله انهم الآن مجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبىّ، قال سلمان: فلما سمعتها أخذتنى العرواء أى الرعدة حتى ظننت انى ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ماذا تقول، فغضب سيدي فلكمنى لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا، أقبل على عملك: قلت لا شيء انما أردت أن استبثه عما قال، وقد كان عند سلمان شيء من الرطب قد جمعه، فلما أمسى أخذه ثم ذهب به الى رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وهو بقباء، ثم دخل عليه فقال له: إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم فقرّبه منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لأصحابه كلوا"، وأمسك يده، فلم يأكل فقال سلمان فى نفسه هذه واحدة، ثم انصرف عنه وجمع شيئاً وتحوّل رسول الله صلّى الله عليه وسلم من قباء الى المدينة فجاءه سلمان به، فقال: انى رأيتك لا تأكل صدقة، وهذه هدية أكرمتك بها فأكل وأمر أصحابه فأكلوا منها فقال سلمان فى نفسه: هاتان اثنتان، ثم جاء رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد، وقد تبع جنازة رجل من أصحابه عليه شملتان له وهو جالس فى أصحابه فسلم عليه ثم استدار خلفه ينظر إلى ظهره هل يرى الخاتم الذى وصفه له صاحبه بعمورية، فلما رآه رسول الله صلّى الله عليه وسلم إستدبر، عرف أنه يستثبت فى شيء وصف له: فألقى رداءه عن ظهره فنظر الى الخاتم فانكب عليه يقبله ويبكى.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: تحوّل فتحوّل فقص عليه قصته فأعجب رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه فأسلم سلمان.

قصص أخرى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن عبد الله بن عباس، أن أبا سفيان بن حرب أخبره: أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارًا بالشأم في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبًا، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبًا لكذبت عنه.

ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه.

قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله.

وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك، قلت رجل يطلب ملك أبيه.

وسألتك، هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بما يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقًا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم،

يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين " و { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}.

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقنًا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.

وكان ابن الناظور، صاحب إيلياء وهرقل، سقفًا على نصارى الشأم يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء، أصبح يومًا خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناظور: وكان هرقل حزاءً ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مداين ملكك، فيقتلوا من فيهم من اليهود.

فبينما هم على أمرهم، أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا، فنظروا إليه، فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر.

ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا هذا النبي؟

فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفًا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل. [183]

ومن القصص المثيرة التي حصلت لأحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الصحابي كعب بن مالك، والذي تخلف عن الإلتحاق بركب المسلمين في غزوة تبوك التي غزاها المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كانت الأيام التي عاشها الصحابي كعب بن مالك بعد غزوة تبوك صعبة عليه للغاية، وحتى على عائلته، وأصحابه، وجيرانه، وقد عاش في وضع نفسي واجتماعي صعب للغاية أثناء ذلك.

نقل مسلم بن الحجاج في صحيحه هذه القصة بتمامها في كتابه:

عن ابن شهاب، قال: ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك، وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام، قال ابن شهاب: فأخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب كان قائد كعب، من بنيه، حين عمي، قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك.

قال كعب بن مالك: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط، إلا في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدًا تخلف عنه، إنما

---

183 البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، 1/8'.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم، على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة، حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها.

وكان من خبري، حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط، حتى جمعتهما في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا، واستقبل عدوًا كثيرًا، فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجههم الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ – يريد بذلك الديوان.

قال كعب: فقل رجل يريد أن يتغيب، يظن أن ذلك، سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، فأنا إليها أصعر، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئًا، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك، إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديًا والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئًا، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئًا، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم، فيا ليتني فعلت، ثم لم يقدر ذلك لي، فطفقت، إذا خرجت في الناس، بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحزنني أني لا أرى لي أسوةً إلا رجلًا مغموصًا عليه في النفاق، أو رجلًا ممن عذر الله من الضعفاء.

ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال: وهو جالس في القوم بتبوك «ما فعل كعب بن مالك؟» قال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه، فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينما هو على ذلك رأى رجلًا مبيضًا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كن أبا خيثمة» فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون، فقال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلًا من تبوك، حضرني بثي، فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غدًا؟ وأستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي.

فلما قيل لي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادمًا، زاح عني الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبدًا، فأجمعت صدقه، وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادمًا، وكان إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعةً وثمانين رجلًا، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت، فلما سلمت تبسم تبسم المغضب، ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» قال: قلت: يا رسول الله إني، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلًا، ولكني والله لقد علمت، لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عقبى الله، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما هذا، فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك» فقمت.

وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبت ذنبًا قبل هذا، لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بما اعتذر به إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك، استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك، قال: فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأكذب نفسي، قال ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان، قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، قال قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيعة العامري وهلال بن أمية الواقفي، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا، فيهما أسوة، قال: فمضيت حين ذكروهما لي.

قال ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا، أيها الثلاثة، من بين من تخلف عنه، قال: فاجتنبنا الناس، وقال: تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلةً، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام، أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني.

حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام. فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمن أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت، فعدت فناشدته، فسكت، فعدت فناشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، وتوليت، حتى تسورت الجدار.

فبينا أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطي من نبط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك، قال: فطفق الناس يشيرون له إلي، حتى جاءني فدفع إلي كتابًا من ملك غسان، وكنت كاتبًا، فقرأته فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك.

قال فقلت: حين قرأتها: وهذه أيضا من البلاء فتياممت بها التنور فسجرتها بها، حتى إذا مضت أربعون من الخمسين، واستلبث الوحي، إذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك، قال: فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها، فلا تقربنها.

قال: فأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت له: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يقربنك» فقالت: إنه، والله ما به حركة إلى شيء، ووالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان، إلى يومه هذا.

قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك؟ فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، قال: فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يدريني ماذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب.

قال: فلبثت بذلك عشر ليال، فكمل لنا خمسون ليلةً من حين نهي عن كلامنا، قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلةً، على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا، قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجدًا وعرفت أن قد جاء فرج.

قال: فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا، حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض رجل إلي فرسًا، وسعى ساع من أسلم قبلي، وأوفى الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، فنزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتلقاني الناس فوجًا فوجًا، يهنئوني بالتوبة ويقولون: لتهنئك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحوله الناس، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره، قال فكان كعب لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وهو يبرق وجهه من السرور ويقول: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك» قال فقلت: أمن عندك؟ يا رسول الله أم من عند الله فقال: «لا، بل من عند الله» وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا سر استنار وجهه، كأن وجهه قطعة قمر.

قال: وكنا نعرف ذلك، قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: «أمسك بعض مالك، فهو خير لك» قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، قال: وقلت: يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت.

قال: فوالله ما علمت أن أحدًا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث، منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به، والله ما تعمدت كذبةً منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

قال: فأنزل الله عز وجل: { لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } (التوبة: 117)، حتى بلغ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾} [التوبة: 119]، قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط، بعد إذ هداني الله للإسلام، أعظم في نفسي، من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، إن الله قال للذين كذبوا، حين أنزل الوحي، شر ما قال لأحد. وقال الله: { سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } [التوبة: 96].

قال كعب: كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله عز وجل: وعلى الثلاثة الذين خلفوا، وليس الذي ذكر الله

مما خلفنا، تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه. [184]

غزا محمد رسول الله خمساً وعشرين غزوة، وهي بالترتيب: أولها غزوة ودان وهي الأبواء، ثم غزوة بواطٍ وهي من ناحية رضوى، ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع، ثم غزوة بدر الأولى يطلب كرز بن جابر، ثم بدر الثانية، وهي البطشة التي أعز الله تعالى فيها الإسلام، وأهلك رؤوس الكفرة، ثم غزوة بني سليم حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب، ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر، ثم غزوة نجران، ثم غزوة أحد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل، ثم بدر الآخرة، ثم دومة الجندل، ثم غزوة الخندق، وهي آخرة غزوة غراها أهل الكفر إليه، ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان من هذيل، ثم غزوة ذي قرد، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة، ثم غزوة الحديبية، ثم غزوة خيبر، ثم غزوة الفتح فتح مكة ثم غزوة حنين إلى هوزان، ثم الطائف، ثم تبوك.

184 مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، 4/ 2120.

الفصل الرابع

ملاحق

الملحق الأول

من حكمة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

نحو تجديد الصلة بالله سبحانه

من خلال الدعاء النبوي

دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن حكمة كبيرة وجوامع الكلم وعبارات غزيرة بالمعنى تكشف عن سياق (البلاغة النبوية) التي تختزل المعنى الكبير في جمل يسيرة تتضمن التوحيد الخالص والإرشاد إلى الصراط المستقيم والخلاص الإنساني في الدنيا والآخرة والشفاء من الأمراض النفسانية والقلبية والعضوية. وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقود بالضرورة إلى التراحم والتعاطف والتآخي والتسامح والتعاون وتفتح المجال أمام بناء إنسان بالمعنى الإنساني والديني العميق للكلمة، وتأسيس مجتمع إنساني مليء بالمحبة والتعاون. ومن أجل مشروع دراسة شاملة للدعاء النبوي، سنبدأ بتحليل بعض المفاهيم التي وردت في الأدعية الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

والمتأمل في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبين له أنه عليه الصلاة والسلام كان يدعو بالأدعية التي فيها جوامع الكلم:

عن عائشة قالت: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يعجبه الجوامع من الدعاء

عن عائشة: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– علمها أن تقول: "اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم. وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم. اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ منه عبدك ونبيك. وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا". [185]

وأخرج الطّبرانيّ في "الدعاء" بسند رجاله ثقات إلَّا أن فيه عنعنة بقية عن عائشة مرفوعًا: "إن الله يحب الملحين في الدعاء". وذهب طائفة إلى أن ترك الدعاء والاستسلام للقضاء أفضل، وحديث ابن مسعود رفعه: "سلوا الله من فضله؛ فإن الله يحب أن يسأل". أخرجه التِّرمذيُّ، وحديث ابن عمر رفعه: "إن الدعاء ينفع ممَّا نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء". وفي سنده لين، وقد صححه مع ذلك الحاكم، وتأولوا الآية الكريمة بأن المراد بالدعاء العبادة؛ لقوله في آخر الآية: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}. ولحديث النُّعمان بن بشير عن النَّبيِّ – صَلَّى الله عليه وسلم – قال: "الدعاء هو العبادة". ثم قرأ الآية. أخرجه الأربعة وصححه التِّرمذيُّ والحاكم. وأجاب الجمهور أن الدعاء من أعظم العبادة فأطلق في آخر الآية العبادة على الدعاء لما كان الدعاء ركنها الأعظم، كقوله: "الحج عرفة". [186]

وقال الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله: إن العبادة تشمل الدعاء فهي أعم، والدعاء أخص، فأريد بقوله: {ادْعُونِي}. حقيقة الدعاء.

---

[185] أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ): " موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان"، المحقق: حسين سليم أسد الدّاراني – عبده علي الكوشك الناشر: دار الثقافة العربية، دمشق الطبعة: الأولى، (1411 – 1412 هـ) = (1990 م –1992 م)، 8/ 55.

[186] الحسين بن محمد بن سعيد اللاعيّ، المعروف بالمَغرِبي (المتوفى: 1119 هـ): " البدرُ التمام شرح بلوغ المرام"، المحقق: علي بن عبد الله الزبن الناشر: دار هجر الطبعة: الأولى جـ 1 – 2 (1414 هـ – 1994 م) جـ 3 – 5 (1424 هـ – 2003 م) جـ 6 – 10 (1428 هـ – 2007 م، 10/ 384.

"وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}. مراد به العبادة من حيث عمومها للدعاء، فالربط بين العلة والمعلل عموم العبادة للدعاء، وكونه جزئيًّا من جزئيات العبادة، فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء؛ لوجود الخاص في ضمن العام، وعلى هذا، فالوعيد إنما هو في حق من ترك الدعاء استكبارًا، ومن فعل ذلك كفر، وأمَّا تركه لمقصد من المقاصد، فلا يتوجه إليه الوعيد المذكور، وإن كُنَّا نرى أن ملازمة الدعاء والاستكثار منه أرجح من الترك؛ لكثرة الأدلة الواردة في الحض عليه". [187]

جاء في كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري في (باب فضل الدعاء):

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ليس شيء أكرم على الله من الدعاء".

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الدعاء هو العبادة) ثم قرأ: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ} (غافر: 60).

وعن معقل بن يسار قال انطلقت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا أبا بكر للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل"، فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلها آخر؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده للشرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره؟ قال: (قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم". [188]

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم نتعلم كيف نتعامل مع الريح:

---

[187] الحسين بن محمد بن سعيد اللاعيّ، المعروف بالمَغرِبي: " البدرُ التمام شرح بلوغ المرام"، 10/ 384 – 385.

[188] محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ): " الأدب المفرد بالتعليقات"، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري مستفيدًا من تخريجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1998 م، ص 376، 377.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا هاجت ريح شديدة قال: "اللهم إني أسألك من خير ما أرسلت به وأعوذ بك من شر ما أرسلت به".

عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبي – بن كعب – قال: "لا تسبوا الريح فإذا رأيتم منها ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أرسلت به".

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الريح من روح الله تأتي بالرحمة والعذاب فلا تسبوها ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرها".[189]

وأورد الإمام الطحاوي في شرح مشكل الآثار ما يأتي عن الدعاء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا عطس أحدكم، فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمكم الله، وليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم"، قال الطحاوي: "ولا نعلم حديثا روي في هذا الباب أحسن إسنادا، ولا أثبت من رواة هذا الحديث"، وقد روي فيه أيضا: عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر مثله ولما اختلفوا في ذلك هذا الاختلاف، فكان مثل هذا غير مدروك بالنظر والاستنباط، فنستعمل فيه ما استعملناه فيما سواه مما قد تقدم منا في كتابنا هذا غير أنا وقفنا على إجماعهم على أن الذي يقال للعاطس في ذلك هو الدعاء له، فرأينا الدعاء بالمغفرة دعاء للعاطس بغفران ذنوبه، ورأينا الدعاء له بالهداية دعاء قد يكون على واحد من وجهين، أحدهما: الدلالة على الأشياء المحمودة، ومن ذلك قول الله عز وجل: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾} [الفاتحة: 6] ، ثم قول النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء الذي علمه الناس في الوتر: "

[189] محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: " الأدب المفرد بالتعليقات"، ص 378، 379.

واهدني فيمن هديت "، والآخر: الثبوت على الأمور المحمودة، ومن ذلك قول الله عز وجل: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى} [محمد: 17] فكان في الدعاء بالهداية ما ليس في الدعاء بالغفران، فكان الدعاء بذلك أولى من الدعاء بالغفران، لا سيما وقد ضم إلى ذلك: " ويصلح بالكم "، أي: ويصلح صورتكم، فوجب بذلك أن يكون هذا أولاهما، وأن يكون هذا الذي يقوله المشمت لمن شمته. [190]

ومن آداب المسلم في الدعاء كما يبينها البيهقي: أن يكون حسن الظن بالله عز وجل عند الدعاء فتكون الإجابة على قلبه أغلب من الرد. ومنها: أن يسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ} [الأعراف: 180] ومن ذلك: أن يسأل ما يسأل بجد وحقيقة، ولا يأخذ دعاء مؤلفا فيسرده سردا وهو عن حقائقه غافل. ومن ذلك: أن يكون دعاؤه سؤالا بالحقيقة لا اختبارا لربه جل ثناؤه. ومن ذلك: أن يصلح لسانه إذا دعا، فلا يخاطب ربه جل ثناؤه بما لو خاطب به كفؤه وقرينه نسبه إلى قلة الحياء وسوء الأدب، أو ركاكة العقل. ومن ذلك: ألا يشغله الدعاء عن فريضة لله تعالى حاضرة فيفوتها. ومن ذلك: أن حاجته إذا عظمت لم يسألها الله عز وجل مستعظما إياها في ذات الله تعالى بل يسأله الصغيرة والكبيرة سؤالا واحدا ويرى منة الله تعالى في إجابته إليها عظيمة. ومن ذلك: أن يقدم التوبة أمام الدعاء. ومنها: الجد في الطلب والإلحاح. ومن ذلك: أن لا يدعوا ضجرا مستعجلا يضمر أنه إن أجيب في الوقت الذي يريد، وإلا يئس وترك، بل يدعو متعبدا متخشعا يضمر أنه لا يزال يدعو ويتضرع إلى أن يجاب، وكلما زادت الإجابة عنده تراخيا زاد الدعاء تتابعا وتواليا. ومن ذلك: المحافظة على الدعاء في الرخاء دون تخصيص حال الشدة والبلاء. ومن ذلك: أن يعزم إذا سأله. ومنها: أن يدعو ثلاثا. ومن ذلك: أن يدعو وهو مستقبل

---

[190] أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ): " شرح مشكل الآثار"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، 10/ 179.

القبلة. ومن ذلك: أن يقتصر على جوامع الدعاء ما لم تعرض له حاجة بعينها فينص عليها. ومن ذلك: افتتاح الدعاء وختمه بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك: أن يدعو وهو طاهر. [191]

ومن ذلك الدعاء في السجود، كما ورد عن ابن عباس قال: كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر، فقال: «وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم». [192]

لذلك نحن بحاجة ماسة إلى الدعاء، عن نافع، عن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء» قال الشيخ الإمام الزاهد رحمه الله: معنى قوله: «ينفع مما نزل، ومما لم ينزل»، ويجوز أن يكون الدعاء يسهل على الداعي تحمل ما نزل من البلاء والمصيبة، ويضاعف له ثواب ما نزل؛ لأنه يحوز ثواب المصيبة والبلاء، وثواب الافتقار والاضطراب إليه، وشرف الدعاء له، ويكون الدعاء بعد نزول البلاء سبب الصبر والرضا، وسبب العصمة عن الجزع الذي لم يحرم الثواب، ومما لم ينزل بأن يصرف عنه، أو يخفف عليه، أو ينزل معه توفيق الصبر، والرضا والشكر، ويعطيه العوض عليه في الدنيا والآخرة، وذلك فضل الله يؤتيه من

---

[191] أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): " شعب الإيمان"، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، 1423 هـ – 2003 م، 2/ 374.

[192] أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ): " صحيح ابن خزيمة"، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، 1/ 336.

يشاء، والله واسع عليم. فالله سبحانه قد جعل لنا شرف الإذن في الدعاء، وفتح أبواب الرحمة، وأن نكون داعين له مفتقرين إليه، ذاكرين له، وهذا خير للمسلم من كثير مما يسأل. [193]

[193] أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ): " بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار"، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل – أحمد فريد المزيدي الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، 1420هـ – 1999م، ص 36.

الملحق الثاني

من حكمة عيسى بن مريم،

عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

مختارات من كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير [194]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم:

وبعد هذه مختارات من حكمة نبي الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام اخترتها من كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير، فيها الكثير من الحكمة العيسوية النبوية التي يبحث عنها الحكماء المسلمون ويعملون بكل ما أوتوا من قوة على فهمها وتطبيقها، فإلى ذلك، إن شاء الله تعالى:

---

[194] ينظر رابط المقال في مدونة Rawaa Mahmoud Hussain: Islamic Wisdom، بتاريخ 13/ 4/ 2014، على الرابط الاتي:

https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/2014/03/13/%d9%85%d9%86-%d8%ad%d9%83%d9%85%d8%a9-%d8%b9%d9%8a%d8%b3%d9%89-%d8%a8%d9%86-%d9%85%d8%b1%d9%8a%d9%85-%d8%b9%d8%a8%d8%af-%d8%a7%d9%84%d9%84%d9%87-%d9%88%d8%b1%d8%b3%d9%88%d9%84%d9%87-%d8%b5%d9%84/

1- عن أبي هريرة قال أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم: (يا عيسى جد في أمري ولا تهن واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول إنك من غير فحل وأنا خلقتك آية للعالمين إياي فاعبد وعلي فتوكل خذ الكتاب بقوة فسر لأهل السريانية بلغ من بين يديك أني أنا الحق الحي القائم الذي لا أزول صدقوا النبي الأمي العربي صاحب الجمل والتاج (وهي العمامة) والمدرعة والنعلين والهرارة (وهي القضيب) الأنجل العينين الصلت الجبين الواضح الخدين الجعد الرأس الكث اللحية المقرون الحاجبين الأقنى الأنف المفلج الثنايا البادي العنفقة الذي كأن عنقه إبريق فضة وكأن الذهب يجري في تراقيه له شعرات من لبته إلى سرته تجري كالقضيب ليس على بطنه ولا على صدره شعر غيره شثن الكف والقدم إذا التفت التفت جميعا وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب عرقه في وجهه كاللؤلؤ وريح المسك تنفخ منه ولم ير قبله ولا بعده مثله، الحسن القامة الطيب الريح نكاح النساء ذا النسل القليل إنما نسله من مباركة لها بيت يعني في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب تكفله يا عيسى في آخر الزمان كما كفل زكريا أمك له منها فرخان مستشهدان وله عندي منزلة ليست لأحد من البشر. كلامه القرآن ودينه الإسلام وأنا السلام طوبى لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه". قال عيسى يا رب وما طوبى قال: غرس شجرة أنا غرستها بيدي فهي للجنان كلها أصلها من رضوان وماؤها من تسنيم وبردها برد الكافور وطعمها طعم الزنجبيل وريحها ريح المسك من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا. قال عيسى يا رب اسقني منها قال (حرام على النبيين أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك النبي وحرام على الأمم أن يشربوا منها حتى يشرب منها أمة ذلك النبي). [1]

2- وقال هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه: أن عيسى قال:(يا رب أنبئني عن هذه الأمة المرحومة قال أمة أحمد هم علماء حكماء كأنهم

أنبياء يرضون مني بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله. يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنه لم تذل ألسن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ولم تذل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت به رقابهم). [2]

3- عن عبد الله بن عوسجة قال أوحى الله إلى عيسى ابن مريم: (أنزلني من نفسك كهمك واجعلني ذخرا لك في معادك وتقرب إلي بالنوافل أحبك ولا تول غيري فأخذلك اصبر على البلاء وارض بالقضاء وكن لمسرتي فيك فإن مسرتي أن أطاع فلا أعصى وكن مني قريبا وأحي ذكري بلسانك ولتكن مودتي في صدرك تيقظ من ساعات الغفلة واحكم في لطيف الفطنة وكن لي راغبا راهبا وأمت قلبك في الخشية لي وراع الليل لحق مسرتي وأظمئ نهارك ليوم الري عندي نافس في الخيرات جهدك واعترف بالخير حيث توجهت وقم في الخلائق بنصيحتي واحكم في عبادي بعدلي فقد أنزلت عليك شفاء وسواس الصدور من مرض النسيان وجلاء الأبصار من غشاء الكلال ولا تكن حلسا كأنك مقبوض وأنت حي تنفس يا عيسى بن مريم ما آمنت بي خليقة إلا خشعت ولا خشعت لي إلا رجت ثوابي فأشهدك أنها آمنة من عقابي ما لم تغير أو تبدل سنتي يا عيسى ابن مريم البكر البتول ابك على نفسك أيام الحياة بكاء من ودع الأهل وقلا الدنيا وترك اللذات لأهلها وارتفعت رغبته فيما عند إلهه وكن في ذلك تلين الكلام وتفشي السلام وكن يقظان إذا نامت عيون الأبرار حذار ما هو آت من أمر المعاد وزلازل شدائد الأهوال قبل أن لا ينفع أهل ولا مال واكحل عينك بملول الحزن إذا ضحك البطالون وكن في ذلك صابرا محتسبا وطوبى لك ان نالك ما وعدت الصابرين. رح من الدنيا بالله يوم بيوم وذق مذاقعة ما قد حرب منك أين طعمه وما لم يأتك كيف لذته فرح من الدنيا

بالبلغة وليكفك منها الخشن الجشب قد رأيت الى ما يصير اعمل على حساب فإنك مسئول لو رأت عيناك ما أعددت لأوليائي الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك). [3]

4- عن أبي عثمان قال كان عيسى عليه السلام يصلي على رأس جبل فأتاه إبليس فقال أنت الذي تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر قال نعم قال ألق نفسك من هذا الجبل وقل قدر علي فقال يا لعين الله يختبر العباد وليس العباد يختبرون الله عز وجل. وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا الفضل بن موسى البصري حدثنا إبراهيم بن بشار سمعت سفيان بن عيينة يقول لقي عيسى بن مريم إبليس فقال له إبليس يا عيسى بن مريم الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلمت في المهد صبيا. ولم يتكلم فيه أحد قبلك قال بل الربوبية للإله الذي أنطقني ثم يميتني ثم يحيني قال فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تحيي الموتى قال بل الربوبية لله الذي يحى ويميت من أحييت ثم يحييه قال والله إنك لإله في السماء وإله في الأرض قال فصكه جبريل صكة بجناحيه فما نبأها دون قرون الشمس ثم صكه اخرى بجناحيه فما نبأها دون العين الحامية ثم صكه أخرى فأدخله بحار السابعة فأساخه وفي رواية فأسلكه فيها حتى وجد طعم الحمأة فخرج منها وهو يقول ما لقي أحد من أحد إلها ليس معه إله ولكن الله يكون إلها في السماء وتكون أنت إلها في الأرض فلما سمع عيسى ذلك منه استغاث بربه وصرخ صرخة شديدة فإذا إسرافيل قد هبط فنظر إليه جبريل وميكائيل فكف إبليس فلما استقر معهم ضرب إسرافيل إبليس بجناحه فصك به عين الشمس ثم ضربه ضربة أخرى فاقبل إبليس يهوى ومر عيسى وهو بمكانه فقال يا عيسى لقد لقيت فيك اليوم تعبا شديدا فرمى به في عين الشمس فوجد سبعة أملاك عند العين الحامية قال فغطوه فجعل كلما صرخ غطوه في تلك الحمأة قال والله ما عاد إليه بعد. [4]

الهوامش:

_____

[1] ابن كثير (ت 774 هـ): "البداية والنهاية"، دار الفكر، 1407 هـ – 1986 م، 2/ 78 – 79.

[2] نفسه، 2/ 79.

[3] نفسه، 2/ 79.

[4] نفسه، 2/ 80 – 81.

الملحق الثالث

في اجماع الصحابة والتابعين والعلماء

يقول ابن مازة البخاري الحنفي عن الصحابة رضي الله عنهم أنه يجب أن تعرف مراتب الرواة، فإن منهم من عرف بالفقه والعدالة كالخلفاء الراشدين، والعبادلة وغيرهم، ومنهم من عرف بطول الصحبة وحسن الضبط، والأخذ براوية من عرف بالفقه أولى من الأخذ برواية من لم يعرف بالفقه، وكذلك الأخذ برواية من عرف بطول الصحبة، أولى من الأخذ برواية من لم يعرف بطول الصحبة، وإن كان حادثة لم يرد فيها سنة رسول الله، يقضي فيها بما اجتمع عليه الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن العمل بإجماع الصحابة واجب، فإن كان الصحابة فيها مختلفين، يجتهد في ذلك، ويرجح قول بعضهم على البعض باجتهاده، إذا كان من أهل الاجتهاد، وليس له أن يخالفهم جميعاً بإحداث قول ثالث؛ لأنهم مع اختلافهم اتفقوا على أن ما عدا القولين باطل، وكأن الخصاف يقول له ذلك، لأن اختلافهم اتفقوا على أن ما عدا القولين باطل، وكان الجصاص يقول: "ذلك لأن اختلافهم يدل على أن للاجتهاد فيه مجالاً"، والصحيح ما تم ذكره، ولا يفضل قول الجماعة على قول الواحد، قال الفقيه أبو جعفر: "وهذا على أصل أبي حنيفة رحمه الله، أما على أصل محمد: يفضل قول الجماعة على قول الواحد،

وقد ذكر محمد رحمه الله في «السير الكبير» في مسألة: قال أهل العراق وأهل الحجاز كذا، وقال أهل الشام: كذا، فأخذنا بقول أهل العراق والحجاز لكثرتهم ولانتفاء التهمة عن قولهم[195].

وبين ابن مازة البخاري أن الإجماع يتحقق بطريقين: أحدهما: اتفاق كل الصحابة على حكم بأقوالهم، وهذا متفق عليه. والثاني: تنصيص البعض، وسكوت الباقين، بأن اشتهر قول البعض وبلغ الباقون ذلك، فسكتوا ولم ينكروا ذلك، وهذا المذهب المعتمد، وإنما كان كذلك لأنه لو كان عند الباقين خلاف ذلك، لما حل لهم السكوت فيحمل سكوتهم على الموافقة حملاً لأمرهم على ما يحل لهم شرعاً، ولكن هذا الإجماع في المرتبة دون الأول، لأن الأول مجمع عليه، والثاني مختلف فيه، فإن وجد من كل الصحابة اتفاق إلا واحد، فإنه خالفهم فعلى قول الكرخي لا يثبت حكم الإجماع، وهو قول الشافعي، والراجح أنهم إن سوّغوا له الاجتهاد، ولا ينعقد الإجماع مع مخالفته، نحو خلاف ابن عباس رضي الله عنهما في زوج وأبوين، قال: للأم ثلث جميع المال، وإن لم يسوغوا له الاجتهاد، بل أنكروا عليه ذلك، يثبت حكم الإجماع بدون قوله حتى لو قضى قاض بجواز بيع الدرهم بالدرهمين، لا ينعقد قضاؤه. [196]

ونقل ابن مازة عن القاضي أبي حازم: "أن الخلفاء الراشدين إذا اتفقوا على شيء. لا يلتفت إلى خلاف من خالفهم، حتى لم يعتبر خلاف زيد في توريث ذوي الأرحام، وأمر المعتصم برد الأموال التي اجتمعت من تركات ذوي الأرحام"، فقال له أبو سعيد البردعي: "هذا شيء يفتى فيه على قول زيد"، فقال أبو حازم: "لا يعتبر خلاف زيد في مقابلة الخلفاء

---

[195] أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي (المتوفى: 616هـ): "المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه"، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م، 8/8.

[196] ابن مَازَةَ البخاري الحنفي: "المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه"، 8/8.

الراشدين". ولكن الصحيح ما تم ذكره، فإن جاء حديث من واحد من الصحابة ولم ينقل عن غيره خلاف ذلك، فعن أبي حنيفة رحمه الله ثلاث روايات: في رواية قال: أقلد منهم من كان من القضاة المفتيين لقوله عليه السلام: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما»، وقد اجتمع في حقهما القضاء والفتوى، فمن كان منهما كعثمان وعليّ والعبادلة الثلاثة وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، ومن كان بمثابتهم أقلدهم، ولا أستجر خلافهم. وفي رواية قال: أقلد جميع الصحابيين ولا أستجر خلافهم، وهو الظاهر من المذهب، فقد قال في كتاب الحيض: أقل الحيض ثلاثة أيام وأكثره عشرة أيام، بلغنا ذلك عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال في كتاب الأيمان: إذا نذر بذبح ولده يصح نذره عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله، بلغنا نحو ذلك، عن ابن عباس رضى الله عنهما، وقال: في شراء ما باع بأقل مما باع قبل نقد الثمن، أنه لا يجوز، بلغنا ذلك عن عائشة رضى الله عنها، ونظائره في الكتب كثيرة، وهذا لأنهم ما كانوا يفتون جزافاً، وإنما كانوا يفتون سماعاً أو اجتهاداً، فإن كان سماعاً يلزمنا اتباعهم، وهذا ظاهر، وإن كان اجتهاداً فكذلك، لأنهم صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعاينوا وشهدوا التنزيل، وشهد لهم رسول الله عليه السلام بالخيرية، بقوله: «خير القرون قرني الذي أنا فيهم» . فيوفقون في الصواب بسبب صحبة رسول الله عليه السلام ولكونهم خير القرون. [197]

والصحابة يوفقون في الصواب بسبب صحبة رسول الله عليه السلام ولكونهم خير القرون مالا يحصل لغيرهم، ولأنهم عرفوا طريق رسول الله في بيان الأحكام، وشاهدوا الأحوال التي نزلت فيها النصوص، والمحال التي تعتبر باعتبارها الأحكام، فيكون رأيهم أقوى، واجتهادهم أصوب. وإن اجتمعت الصحابة على حكم، وخالفهم واحد من التابعين، إن كان

[197] ابن مَازَةَ البخاري الحنفي: "المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه"، 8/ 8-9.

المخالف ممن لم يدرك عهد الصحابة، لا يفيد خلافه، حتى لو قضى القاضي بقوله، بخلاف إجماع الصحابة كان باطلاً، وإن كان ممن أدرك عهد الصحابة، وزاحمهم في الفتوى، ورضوا له الاجتهاد، كشريح والنخعي والشعبي رضي الله عنهم، لا ينعقد الإجماع مع مخالفته. ولهذا قال أبو حنيفة رحمه الله: لا يثبت إجماع الصحابة في الأسعار؛ لأن إبراهيم النخعي كان يكرهه وهو ممن أدرك عهد الصحابة، فلا يثبت الإجماع بدون قوله، وهذا لأنه لما أدرك عهد الصحابة وسوغوا له الاجتهاد، حتى زاحمهم في الفتوى، فقد جعلوه كواحد منهم فصار خلافه كخلاف واحد منهم. فإن كانت حادثة ليس فيها إجماع الصحابة، ولا قول واحد من الصحابة، ولكن فيه إجماع التابعين، فإنه يقضى بإجماعهم؛ لأن إجماع التابعين حجة قال الله تعالي: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾} (النساء: 15) الآية، وخلاف إجماعهم اتباع غير سبيل المؤمنين، إلا أن إجماع التابعين في كونه حجة دون إجماع الصحابة، لأن بعض الناس قالوا: إجماعهم ليس بحجة، إنما ذلك للصحابة، وكذلك إجماع كل فريق بعد ذلك حجة، ولكنه أقل من الأول في كونه حجة. وإن كانت حادثة فيها اختلاف التابعين، يجتهد القاضي في ذلك، إذا كان من أهل الاجتهاد، ويقضي بما هو أقرب للصواب، وأشبه بالحق، وليس له أن يخالفهم باختراع قول ثالث، وإن جاء عن بعض التابعين ولم ينقل عن غيرهم فيه شيء، فعن أبي حنيفة رحمه الله فيه روايتان: في رواية قال: لا أقلدهم، رجال اجتهدوا، ونحن رجال نجتهد، وهو ظاهر المذهب، وفي رواية «النوادر» قال: من كان منهم أفتى في زمن الصحابة، وسوغوا له الاجتهاد، مثل شريح، ومسروق بن الأجدع، والحسن، فأنا أقلدهم، وهذا لأن من أفتى في زمن الصحابة وسوغوا له الاجتهاد، فقد جعلوه كواحد منهم، فإن لم يجد عنهم بإجماع، يعمل

بإجماع من بعدهم، إن كان في الزمان الذي هو فيه، وهذا لأن إجماع كل عصر حجة بالنص الذي تلونا وبقوله عليه السلام: «لا تجتمع أمتي على الضلالة" [198].

فإن لم يجد في ذلك الإجماع، وكان فيه اتفاق بين أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله، يأخذ بقولهم ولا يسعه أن يخالفهم برأيه؛ لأن الحق لا يعدوهم فإن أبا يوسف رحمه الله كان صاحب حديث، حتى روي عنه أنه قال: "أحفظ عشرين ألف حديث من المنسوخ"، وإذا كان هذا يحفظ هذا من المنسوخ، فما ظنك من الناسخ، وكان صاحب فقه ومعنى أيضاً. ومحمد رحمه الله كان صاحب فقه ومعنى، وكان صاحب ذكاء أيضاً، ولهذا قال في «المسائل» رجوعه وأبا حنيفة رحمه الله كان مقدماً في هذا كله إلا أنه قلّت روايته لمذهب يقول به، في باب الحديث: إنما يحل رواية الحديث لمن يحفظ من حين يسمع إلى أن يروي. وإن اختلفوا فيما بينهم، قال عبد الله بن مبارك: "يأخذ بقول أبي حنيفة لا محالة لأنه كان في زمن التابعين وزاحمهم في الفتوى، وقد شهد رسول الله عليه السلام بالخيرية فالظاهر أن يوفق للصواب، ما لا يوفق غيره"، والمتأخرون من مشايخ الحنفية رحمهم الله اختلفوا وقالوا: إذا اجتمع اثنان منهم على شيء وفيهما أبو حنيفة رحمه الله، أنه يأخذ بقول أبي حنيفة رحمه الله، وإن كان أبو حنيفة من جانب وأبو يوسف ومحمد رحمها الله من جانب، فإن كان القاضي من أهل الاجتهاد يجتهد، وإن لم يكن من أهل الاجتهاد يستفتي غيره، ويأخذ بقول المفتي بمنزلة العامي، وإن كان أبو حنيفة رحمه الله أعلى رتبة؛ لأنه قد يرزق الرجل الصواب، وإن كان غيره أعلى رتبة، فإن أدراك الصواب فضيلة يرزقه الله تعالى من عباده من يشاء وإن لم يكن من أهل الاجتهاد يأخذ بقول أبي حنيفة، ولا يترك مذهبه؛ لأنه أفقه عنده من غيره، فلا يترك متابعته. وإن اختلف المتقدمون على قولين، ثم أجمع من بعدهم على أحد هذين القولين

[198] ابن مَازَةَ البخاري الحنفي: "المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه"، 8/ 9-10.

فهذا الإجماع، هل يرفع الخلاف المتقدم؟ فقد قيل على قول أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله، لا يرفع، وعلى قول محمد رحمه الله: أنه يرفع، وذكر الشيخ الإمام شمس الأئمة السرخسي رحمه الله أنه يرفع الخلاف المتقدم بلا خلاف بين علماء الحنفية رحمهم الله، وإنما يخالف في ذلك بعض العلماء، على ما يأتي بيانه بعد هذا، إن شاء الله. وإن اتفق أهل عصر على رأي، فخرج هذا القاضي عن قولهم، وقضى بخلاف قولهم لما رأى الصواب بخلافه، فإن كان قد سبق هذا الاتفاق، اختلاف العلماء، فقد اختلف المشايخ فيه، بعضهم قالوا: لا يمكنه الخلاف. وبعضهم قالوا: يمكنه. فإن لم يسبق هذا الاتفاق اختلاف لا يسعه الخلاف بالاتفاق، بقي الكلام بعد هذا في تفسير الاجتهاد، وفي أهلية الاجتهاد. أما تفسيره فالاجتهاد بذل المجهود لطلب المقصود، وأما أهله: فأهل الاجتهاد من يكون عالماً بالكتاب، والسنة، والآثار، ووجوه الفقه، ويشترط مع ذلك، أن يكون صاحب قريحة يعرف عرف الناس، وعاداتهم، ومعاملاتهم.[199]

فالعرف قد يغلب على الناس، كما في الاستصناع، والحكم قد يتغير بتغير العصر والزمان، ويشترط مع ذلك أن يكون عالماً بلغة العرب؛ لأن القرآن والأخبار جاءت بلغتهم. قال الشيخ الإمام شمس الأئمة السرخسي رحمه الله: "إذا كان يحفظ المنسوخ من أقوال المتقدمين له أن يجتهد". قال: "وإذا كان في البلد قوم من أهل الفقه شاورهم في ذلك؛ لأن القاضي لا يكون أفطن في نفسه من رسول الله عليه السلام، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالمشاورة، قال الله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ} (آل عمران: 159) وقال عليه السلام: «من العزم

[199] ابن مَازَةَ البخاري الحنفي: "المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه"، 8/ 11.

أن تستشير ذا رأي ثم تطيعه» [200]، وقال عليه السلام: «المستشير يصيب» أو قال: «كاد أن يصيب»[201]. ولأن بالمشاورة تجتمع الآراء، وظهور الحق عند اجتماع الآراء أَبْيَنُ، ولهذا قيل: في المشاورة تلقيح العقول، فإذا شاورهم، واتفق رأيه ورأيهم على شيء، حكم به؛ لأنه لما اتفق رأيه ورأيهم صار ذلك كالإجماع، والإجماع من جملة الحجج، وإن وقع الاختلاف بين هؤلاء الذين شاورهم، نظر إلى أقرب الأقاويل عنده من الحق، وأمضى على ذلك باجتهاده، إذا كان من أهل الاجتهاد، ولا يعتبر في ذلك كبر السن، ألا ترى أن عمر رضي الله عنه كان شاور ابن عباس رضي الله عنهما، وكان يقول له: «غص يا غوّاص»[202]، وكان يأخذ بقوله وعمر كان أكبر سناً منه، وكذلك لا يعتبر كثرة العدد، فالواحد قد يوفق للصواب ما لا يوفق الجماعة، ولأجل ذلك قبلنا شهادة الواحد على رؤية الهلال، إذا كانت السماء متغيمة، وينبغي أن يكون ههنا قول أبي حنيفة رحمه الله، أما على قول محمد رحمه الله يعتبر كثرة العدد على

---

[200] جاء في "كنز العمال": الحزم أن تشاور ذا رأي، ثم تطيعه. "د" في مراسيله "ق" عن خالد بن معدان مرسلا. الحزم أن تشاور ذا لب، ثم تطيعه. "د" في مراسيله "ق" عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين مرسلا. انظر: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: 975هـ): " كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال"، المحقق: بكري حياني، 3/ 410. وفي "تحفة الأشراف": حديث نحو حديث قبله: أن رجلا قال: يا رسول الله! ما الحزم؟ قال: أن تشاور ذا لب ثم تطيعه. (د) في المراسيل (90: 2) عن محمد بن الوزير – وهو الدمشقي –، عن يحيى بن حمزة، عن ثور بن يزيد، عنه به. انظر: جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي (المتوفى: 742هـ): " تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف"، 13/ 256.

[201] في "جامع الأحاديث" للسيوطي: إن المستشار مؤتمن خذ هذا فإنى رأيته يصلى واستوص به معروفا (الترمذى – حسن – عن أبى هريرة)، أخرجه الترمذى (583/4، رقم 2369) وقال: حسن صحيح غريب. وأخرجه أيضًا: البخارى فى الأدب المفرد (ص 99، رقم 256)، والحاكم (145/4، رقم 7178) وقال: صحيح الإسناد. إن المستشير معان والمستشار مؤتمن (العسكرى فى الأمثال عن عائشة). انظر: جلال الدين السيوطي: " جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى)"، 8/ 339.

[202] عن يعقوب بن يزيد قال: كان عمر بن الخطاب يستشير عبد الله بن عباس في الأمر إذا أهمه، ويقول: غص غواص."ابن سعد". انظر: كنز العمال، 13/ 455.

ما مر قبل هذا، وإن لم يقع اجتهاده على شيء، وبقيت الحادثة مختلفة ومشكلة عليه، كتب إلى فقهاء غير المصر الذي هو فيه، فالمشاورة بالكتاب سنة قديمة في الحوادث الشرعية. وروي عن ابن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما أنهما كانا يكتبان إلى عمر رضي الله عنه يستشيرانه، وعمر كان يكتب إلى ابن مسعود رضي الله عنه يستشيره، وكان ابن سماعة يكتب إلى محمد رحمه الله، وهذا لأن المشورة من الغائب بالكتاب بمنزلة المشورة من الحاضر بالخطاب، فإن اتفق الذين كتب إليهم القاضي على شيء ورأي القاضي يوافق رأيهم، وهو من أهل الرأي والاجتهاد، مضى ذلك برأيه، وإن اختلفوا أيضاً فيما بينهم نظر إلي أقرب الأقوال عنده من الحق، إذا كان من أهل الاجتهاد... [203]

[203] ابن مَازَةَ البخاري الحنفي: "المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه"، 8/ 12.

الملحق الرابع

في علم الرجال

فهرس من اسمه عبد الحكيم من العلماء (1) [204]

إهداء إلى شيخي الدكتور عبد الحكيم الأنيس

وإلى ولدي عبد الحكيم

---

[204] ينظر رابط المقال في مدونة Rawaa Mahmoud Hussain: Islamic Wisdom، بتاريخ 3/ 7/ 2017، على الرابط الاتي:

https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/2017/07/03/%d9%81%d9%87%d8%b1%d8%b3-%d9%85%d9%86-%d8%a5%d8%b3%d9%85%d9%87-%d8%b9%d8%a8%d8%af-%d8%a7%d9%84%d8%ad%d9%83%d9%8a%d9%85-%d9%85%d9%86-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d9%84%d9%85%d8%a7%d8%a1-1/

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فهذه جملة من أسماء العلماء ممن سمي باسم (عبد الحكيم)، ويسير هذا العمل على طريقة الفهارس التي أنجز العلماء فيها الكثير. ويقيناً أني لم أستوعب في هذا القسم كل الأسماء، ولذلك عددته قسماً أول، على أمل أن استدرك في أقسام قادمة إن شاء الله.

فإلى الأسماء، إن شاء الله:

أولاً: من العلماء القدامى:

عبد الحكيم وعبد الحميد:

أبناء (عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. ويكنى أبا عبد الرحمن) أبناء وأمهما أم حبيب بنت سفيان بن عويف بن عبد الله بن عامر بن هلال بن عامر بن عوف بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة[1] .

عبد الحكيم بن عبد العزيز بن أبى هنيدة الصّيرفىّ المصرى:

يكنى أبا رجاء. روى عن أبى قبيل المعافرى، وابن هبيرة السّبائىّ. روى عنه سعيد بن عفير، وابن بكير. مات بعد السبعين ومائة[2] .

عبد الحكيم البصري سمع عائشة سمع منه الاحوص بن حكيم سمعت أبي يقول ذلك.

عبد الحكيم بن فلان بن يعلى:

قال حدثنى ابى ان جده يعلى قال، لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انا بأرض يصيب أهلها من هذا الشراب، روى عنه معمر سمعت أبي يقول ذلك[3] .

عبد الحكيم بن صهيب:

سمع جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم، مرسل، قال إسحاق حدثنا العقدي حدثنا عبد الله بن جعفر عنه.

عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة:

أبو عبد الله مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه القرشي الأموي المديني، سمع سعيد بن المسيب قوله، سمع منه ابن المبارك وإسحاق بن محمد، هو أخو صالح وإسحاق وعبد الأعلى. [4] قال أبو حاتم الرازي: عبد الحكيم بن عبد الله بن ابى فروة مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه أبو عبد الله اخو صالح واسحاق وعبد الاعلى ويونس واسمعيل بنو عبد الله بن أبي فروة روى عن سعيد بن المسيب وعمر بن عبد العزيز سمعت أبي يقول ذلك، قال أبو محمد وروى عن عمرو بن شعيب روى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري وابو علقمة الفروى عبد الله بن محمد بن عبد الله (بن أبي فروة) نا عبد الرحمن قال قرئ على العباس بن محمد الدوري قال سئل يحيى ابن معين عن عبد الحكيم بن ابى فروة فقال ثقة وهو أخو إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة (نا عبد الرحمن قال سألت ابى عن الحكم بن ابى فروة فقال ثقة، نا عبد الرحمن قال سألت ابا زرعة عن عبد الحكيم بن ابى فروة) فقال لا بأس به[5] .

عبد الحكيم بن شعيب:

من ذى المروءة روى عن عون بن عبد الله بن سلام روى عنه حرملة بن عبد العزيز (بن الربيع بن سبرة.-

عبد الحكيم بن سفيان:

إبن ابى نمر أبو حرب روى عن أبيه عن عمه أخى أبى نمر عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم روى عنه محمد بن طلحة التيمى[6].

ومن العلماء المحدثين:

الشيخ الصالح عبد الحكيم الحنفي الموهاني:

أحد المشايخ المتورعين، ولد ونشأ بموهان، قرية جامعة من بلاد أوده وسافر للعلم وأخذ وقرأ ثم لازم السيد محمد بن أبي سعيد الحسيني الترمذي الكالبوي وأخذ عنه الطريقة وأجاز السيد محمد المذكور للإرشاد والتلقين ورخصه إلى وطنه، وكان صالحاً متورعاً مرزوق القبول، مات في سنة خمس وعشرين ومائة وألف ببلدة موهان فدفن بها، كما في تبصرة الناظرين.

الشيخ عبد الحكيم اللاهوري:

الشيخ الصالح عبد الحكيم بن شادمان خان البدخشي اللاهوري المشهور بحكيم ببنك خان كان من الشعراء المفلقين، تقرب إلى محمد شاه الدهلوي في شبابه وولي المنصب ثم ترك وساح البلاد وسار إلى كشمير ثم إلى الحرمين الشريفين فحج وزار سنة أربع وسبعين ومائة وألف وأدرك السيد غلام علي الحسيني البلكرامي بمدينة أورنك آباد في سفر الحج عند

إيابه وذهابه، له مردم ديده كتاب في تذكرة شعراء الفرس وله ديوان الشعر الفارسي: ومن شعره. مات في سنة ثمان وسبعين ومائة وألف ببلدة تته من بلاد السند، كما في محبوب الزمن[7] .

مولانا عبد الحكيم الكجراتي:

الشيخ الفاضل عبد الحكيم بن عبد الوهاب بن عبد الغني العباسي الماتريدي السورتي الكجراتي، الخطاط المشهور كان من العلماء المبرزين في العلوم الحكمية، ولد ونشأ بسورت وقرأ الفقه والحديث والأصولين والتفسير على القاضي غلام علي السورتي والمنطق والكلام والفنون الرياضية على الشيخ محمد سعيد البيشاوري والحكمة الطبيعية على ملا محمد فياض الكابلي وقرأ فاتحة الفراغ سنة ست وخمسين وأخذ الخط عن الحكيم أكمل خان البريلوي. وله مصنفات في النجوم والكلام والتاريخ منها: مناظر النجوم وكلمة الحق ونفائس الكلام وتذكرة الصالحين ورسالة في إثبات المعجزة ورسالة في إثبات شق القمر وغير ذلك. مات لست عشرة خلون من جمادي الآخرة سنة خمس وسبعين ومائتين وألف، كما في حقيقة سورت.

الحكيم عبد الحكيم الدهلوي:

الشيخ الفاضل عبد الحكيم بن غلام حسن الدهلوي الحكيم المشهور، ولد ونشأ بمدينة دهلي وقرأ العلم على مولانا شير محمد القندهاري وعلى غيره من العلماء ثم تطبب على والده ولازمه ملازمة طويلة حتى برز في العلم والعمل، وكان مرزوق القبول، انتفع به الناس وأخذوا عنه[8] .

مولانا عبد الحكيم الشيخبوري:

الشيخ الفاضل عبد الحكيم بن كرامة حسين بن ثناء الله الشيخبوري أحد الفقهاء الحنفية كانت له يد بيضاء في النحو والمنطق والكلام وأصول الفقه، أخذ عنه غير واحد من العلماء، مات لأربع عشرة خلون من ذي الحجة سنة خمس وتسعين ومائتين وألف، كما في تذكرة النبلاء[9] .

الشيخ العلامة عبد الحكيم السيالكوتي:

الشيخ الإمام العلامة الكبير الفاضل صاحب التصانيف الفائقة والتآليف الرائقة الشيخ عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي، أحد مشاهير الهند، اتفق على فضله علماء الآفاق، وسارت بمصنفاته الآفاق. ولد ونشأ بسيالكوث من بلاد بنجاب، واشتغل على الشيخ كمال الدين الكشميري ولازمه مدة وتخرج عليه وصار عجباً في استحضار المسائل وقوة العارضة وكثرة الدرس والإفادة وزنه شاهجهان بن جهانكير التيموري صاحب الهند مرتين بالفضة في الميزان ومنحه ما جاء في الوزن، وهو كل مرة ستة آلاف من النقود، وأنعم عليه بقرى متعددة يعيش بها في النعم ويدرس ويصنف، وتصانيفه كلها مقبولة عند العلماء محبوبة إليهم ولا سيما عند علماء بلاد الروم يتنافسون فيها، وهي جديرة بذلك. قال الشيخ محمد بن فضل الله المحبي في خلاصة الأثر: إنه كان من كبار العلماء وخيارهم، مستقيم العقيدة صحيح الطريقة، لا يصدر إلا عن رأيه، لم يبلغ أحد من علماء الهند في وقته ما بلغ من الشأن والرفعة، ولا انتهى واحد منهم إلى ما انتهى إليه، جمع الفضائل عن يد، وحاز العلوم وانفرد، وأفنى كهولته وشيخوخته في الانهماك في العلوم وحل دقائقها، ومضى من جليها وغامضها على حقائقها، وألف مؤلفات عديدة، انتهى. وقال محمد صالح في عمل صالح، إنه كان من كبار الأساتذة،

لم يدرك شأوه أحد من العلماء في غزارة العلم وكثرة الدرس والإفاد درس وأفاد ستين سنة. ومن مصنفاته حاشية على تفسير البيضاوي، وحاشية على المقدمات الأربعة من التلويح – في الأصول – وحاشية على المطول – في البلاغة، وعلى شرح المواقف وعلى شرح العقائد للتفتازاني، وعلى حاشيته للخيالي وعلى شرح العقائد للدوني – كلها في علم الكلام – وحاشية على شرح الشمسية وعلى حاشيته للسيد الشريف وعلى شرح المطالع – كلها في المنطق، وحاشيته على شرح الكافية للجامي وعلى حاشيته لعبد الغفور اللاري – كلاهما في النحو، وحاشية على مراح الأرواح – في الصرف – وله الدرر الثمينة في إثبات علم الواجب وحاشية على شرح حكمة العين وعلى شرح هداية الحكمة – في الحكمة – وله غير ذلك من الحواشي والرسائل، انتهى. توفي في الثامن عشر من ربيع الأول سنة سبع وستين وألف بمدينة سيالكوث فدفن بها[10] .

الشيخ عبد الحكيم البرهانبوري:

الشيخ الصالح الفقيه عبد الحكيم بن بهاء الدين بن معز الدين البرهانبوري، أحد المشايخ المشهورين، ولد ونشأ في مهد العلم والمعرفة، وأخذ عن أبيه ولازمه ملازمة طويلة، أخذ عنه الشيخ علي بن حسام الدين المتقي البرهانبوري المهاجر إلى مكة المباركة، وكان منقطعاً إلى الزهد والعبادة.

الشيخ عبد الحكيم الكالبوي:

الشيخ الصالح عبد الحكيم الكالبوي، أحد رجال العلم والطريقة، أخذ عن الشيخ عبد الوهاب بن محمد الحسيني البخاري الدهلوي ولازمه مدة من الزمان، وانقطع إلى الزهد والعبادة

بكالبي مع قناعة وعفاف وطريقة ظاهرة، مات سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة، فأرخ لعام وفاته بعضهم حكم دا شده كما في كلزار أبرار[11] .

مولانا عبد الحكيم اللكهنوي:

الشيخ الفاضل العلامة عبد الحكيم بن عبد الرب بن عبد العلي بن نظام الدين الأنصاري اللكهنوي: أحد العلماء المشهورين، ولد بلكهنؤ وقرأ بعض الكتب الدرسية على مولانا محمد دائم ثم لازم الشيخ نورالحق بن أنوار الحق اللكهنوي وقرأ عليه سائر الكتب الدرسية حتى تأهل للفتوى والتدريس فدرس وأفاد وشمر عن ساق الجد في ذلك مع عمارة الأوقات بالعبادة بأنواعها والإيثار، يدرس الطلبة ويحسن إليهم، وله مصنفات كثيرة منها: حاشية على شرح السلم لحمد الله وحاشية على مير زاهد ملا جلال وحاشية على العروة الوثقى للفتحبوري وتعليقات على تفسير البيضاوي وحاشية على هداية الفقه وله شرح على دائر الأصول المسمى بمسير الدائر، كانت عند ولده الشيخ المرحوم محمد نعيم اللكهنوي. مات لست بقين من صفر سنة ست وثمانين ومائتين وألف، كما في الأغصان الأربعة[12] .

الشيخ العلامة المقرئ المتقن: عبد الحكيم بن عبد اللطيف بن عبد الله بن سليمان

أصله من بلد اسمها الطويرات في صعيد مصر، والنسبة إليها الطويري، ولد في مصر بمنطقة الدمرداش أمام مسجد المحمدي، يوم 1936/9/17 (وهو يوافق على التقريب غرة رجب سنة 1355). أتم حفظ القرآن الكريم وعمره نحو 12 أو 13 سنة. كان شيخ المكتب الشيخ إمام عبده حلاوة، وقد تلقى الشيخ إمام القرآن الكريم عن الشيخ حسن الجريسي عن أبيه الشيخ حسن الجريسي أيضًا الشهير ببدير، عن الشيخ المتولي، برواية حفص، وأخذ أيضًا عن شيخ من شيوخ المتولي. وكان الشيخ إمام معتنيًا بتلاميذه، يُصحَّح عليه القرآن الكريم بعد

الكتابة في الألواح أو على أخيه إن كان غائبًا. وكان مع الشيخ إمام أخوه عبد الله عبده حلاوة، وقد قرأ على الجريسي المذكور أيضًا. وبعد أن أتم الحفظ قرأ الشيخ عبد الحكيم على تلميذ شيخه الشيخ علي مصطفى عرفة عدة ختمات إعادة، وعلى غيره من مشايخ هذا المسجد. ومن مشايخه: الشيخ محمود علي بِسَّة، الشيخ محمد عيد عابدين، الشيخ أحمد مصطفى أبو حسن، الشيخ أحمد علي مرعي، والشيخ متولي الفقاعي، والشيخ أحمد الأشموني الحنفي، الشيخ عامر السيد عثمان، شيخ المقارئ المصرية، الشيخ حسن المري، وهو من تلاميذ الشيخ الزيات، والشيخ أحمد عيطة، وكان من المشايخ الأجلاء، والشيخ أحمد عبد العزيز الزيات، والشيخ خميس نصار، والشيخ عبد المنعم السيد، والشيخ محمود بكر. ومن تلاميذه: الشيخ أحمد المعصراوي شيخ عموم المقارئ المصرية الآن، الشيخ محمود عكاوي من لبنان، وآخرين. ومن تأليفه إكمال كتاب الكوكب الدري الذي لم يكمله الشيخ قمحاوي، وشرح منظومة قراءة الكسائي للشيخ الضباع، سماها: حديقة الرائي، وقد ضاع هذا الشرح عند بعض تلاميذه. ومن تسجيلاته: وسجل ختمتين لحفص إحداهما بقصر المنفصل. وختمة لشعبة. وشرع في ختمة مصورة لأبي جعفر في قناة الفجر بلغ فيها إلى: (فحملته فانتبذت) في مريم (2008، وهو على نية إتمامها). وله في إذاعة القرآن الكريم بمصر: برنامج اقرؤوا القرآن، في التجويد التطبيقي. وثماني حلقات في التجويد العلمي. وشرع في تسجيل متن الشاطبية، وهو على نية شرحها للإذاعة. وشرح حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف. وقدَّم لختمتي قالون والدوري عن أبي عمرو للشيخ الحصري[13] .

العلامة الشيخ الدكتور عبد الحكيم الأنيس[14]:

ولد أستاذنا العلامة الشيخ الدكتور عبد الحكيم محمد الأنيس بتاريخ 1385هـ – 1965م. وللشيخ الدكتور عبد الحكيم الأنيس عدد من الإخوة والأخوات، في طليعتهم شيخي العلامة الشيخ الدكتور عبد السميع الأنيس، أستاذ الحديث النبوي بكلية الشريعة بجامعة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة. تتلمذ الشيخ الدكتور عبد الحكيم الأنيس على العديد من الشيوخ وأئمة العلم في عصرنا، ولعل من أبرز شيوخه: الشيخ عبد الكريم الدبان، والشيخ عبد الكريم بياره المدرس. نال الدكتور عبد الحكيم الأنيس العديد من الشهادات العلمية والأكاديمية نذكر منها: دكتوراه فلسفة في التفسير وعلوم القرآن من كلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد بتقدير امتياز مع التوصية بطبع الرسالة وتبادلها بين الجامعات عام 1995م. وكانت أطروحة الدكتوراه بعنوان: "العجاب في بيان الأسباب"، والكتاب لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ). ماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد بتقدير امتياز مع التوصية بطبع الرسالة وتبادلها بين الجامعات عام 1993م. وكانت رسالة الماجستير بعنوان:" التفسير الحديث للأستاذ محمد عزة دروزة: دراسة وتحليل". بكالوريوس في الدراسات الإسلامية في كلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد عام 1988 بمعدل (97.46 %). أجيز بالعلوم الشرعية والعربية رواية ودراية من عدد من العلماء منهم:

الأستاذ الشيخ عبد الكريم الدبان –بالتخفيف– (ت1413هـ).

الأستاذ الشيخ عبد الكريم المدرس رئيس رابطة علماء العراق (ت:1426هـ).

الأستاذ الشيخ محمد ياسين الفاداني المكي (ت:1410هـ).

الأستاذ الشيخ أبو الحسن الندوي (ت: 1420 هـ).

والعلامة الشيخ الدكتور عبد الحكيم الأنيس معروف بغزارة إنتاجه العلمي في فروع العلوم الإسلامية المختلفة من التفسير والحديث والفقه واللغة العربية والأدب والشعر وتحقيق المخطوطات وغيرها.

ومن مؤلفاته:

تحقيق النظر في حكم البصر المنسوب إلى برهان الدين ولد تقي الدين السبكي[15] .

توضيح قطر الندى للعلامة الاستاذ الشيخ عبد الكريم الدبان (1328 هـ – 1413 هـ)[16] .

الإمام القرافي وتجربته في الحوار الآخر[17] .

أدب المتعلم تجاه المعلم في تاريخنا العلمي[18] .

التوقيع عن الله ورسوله[19] .

العناية بطلاب العلم عند العلماء المسلمين[20] .

موعظة الحبيب وتحفة الخطيب (من خطب النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين) للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري الحنفي المكي المتوفى بمكة سنة 1014 هـ[21] .

رعاية الأسرة للأبناء: شواهد تطبيقية من تاريخ الأمة[22] .

عشر رسائل في التفسير وعلوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ): المجلد الأول (1 – 5): ويشمل: 1) رياض الطالبين في شرح الاستعاذة والبسملة، 2) الأزهار الفائحة في شرح الفاتحة 3) الكلام على أول سورة الفتح 4) ميزان المعدلة في شأن البسملة 5) المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة [23]. المجلد الثاني (6 – 10): 6) اليد البسطى في تعيين الصلاة الوسطى 7) الفوائد البارزة والكامنة في النعم الظاهرة والباطنة 8) المحرر في قوله تعالى: {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} 9) إتحاف الوفد بنبأ سورتي الخلع والحفد 10) الإشارات في شواذ القراءات [24].

قادة الأمة في رمضان[25] .

وداع رمضان، للإمام أبي الفرج بن الجوزي البغدادي (ت 597 هـ)[26] .

تعظيم الفتيا للإمام أبي الفرج عبد الرحمن إبن الجوزي البغدادي (ت 597 هـ)[27] .

الضابطية للشاطبية اللامية، لعلي القاري[28] .

قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور، للإمام الشيخ عبد العزيز بن أحمد الديريني (ت 688 هـ)[29] .

الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة، للإمام جلال الدين السيوطي[30] .

الأسباب المروية في سبب وضع العربية، للإمام جلال الدين السيوطي[31] .

وينشر الشيخ الدكتور عبد الحكيم الأنيس مؤلفاته بانتظام على موقع الألوكة، مما يدل على غزارة علم الشيخ وكثرة إنتاجه العلمي حفظه الله[32] .

[1]أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ): "الطبقات الكبرى"، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ – 1990 م، 5 / 32 – 33.

[2]عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، أبو سعيد (المتوفى: 347هـ): "تاريخ ابن يونس المصري"، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، 1421 هـ، ص 294.

[3]أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ): "الجرح والتعديل"، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1271 هـ 1952 م، 6 / 3

[4]محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ): "التاريخ الكبير"، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، بدون تاريخ، 6 / 124.

[5]أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ): "الجرح والتعديل"، 6 / 35.

[6]أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ): "الجرح والتعديل"، 6 / 36.

[7]عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (المتوفى: 1341هـ):"الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)"، دار ابن حزم – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ، 1999م، 6 / 746

[8]عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي :"الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)"، 7 / 1004.

[9]عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي :"الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)"، 7 / 1004.

[10]عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (المتوفى: 1341هـ):"الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)"5 / 558.

[11]عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي: "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)"، 4 / 360.

[12]عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (المتوفى: 1341هـ):"الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)"، 7 / 1003 – 1004.

[13]د. محمد خليل الزَّرُّوق: ترجمة فضيلة الشيخ المقرئ عبد الحكيم بن عبد اللطيف الحنبلي، بقلم 1432/08/17 – 2011/07/18 م، ملتقى أهل التفسير، على الرابط الآتي http://vb.tafsir.net/tafsir27243/#.WUXhOGjyvIV :

[14]ترجمة العلامة الشيخ الدكتور عبد الحكيم الأنيس هنا مقتطفة من كتابنا المخطوط عنه. ونشرت سيرته العلمية على موقع منتديات الشريعة وتضمنت معلومات مفيدة لكنها بحاجة الى تنقيح، انظر الرابط : http://www.shariaa.net/forum/showthread.php?t=5506

[15]ط1، دار البشائر الاسلامية، بيروت، 1428 هـ – 2007 م، لقاء العشر الآواخر بالمسجد الحرام.(104)

[16]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1429 هـ – 2008 م.

[17]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1429 هـ – 2008 م.

[18]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1429 هـ – 2008 م.

[19]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1430 هـ – 2009 م.

[20]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1430 هـ – 2009 م.

[21]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1430 هـ – 2009 م.

[22]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1431 هـ - 2010 م.

[23]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1431 هـ - 2010 م.

[24]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1431 هـ - 2010 م.

[25]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1431 هـ - 2010 م.

[26]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1432 هـ - 2011 م.

[27]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1434 هـ - 2012 م.

[28]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1434 هـ - 2012 م.

[29]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1432 هـ - 2011 م.

[30]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1432 هـ - 2011 م.

[31]ط1، دائرة الشؤون الاسلامية والعمل الخيري بدبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، 1434 هـ - 2012 م.

[32] ينظر: موقع الألوكة، الرابط الآتي:
http://www.alukah.net/authors/view/home/9603

الخاتمة

وهكذا من خلال (حكمة السنة النبوية) نلحظ الأهمية القصوى للسنة النبوية، فهي المصدر الثاني لعلوم الإسلام بعد القرآن الحكيم. فالسنة النبوية لها حجيتها وأهميتها التي أكد عليها علماء الإسلام على مر التاريخ الإسلامي. وشهدت علوم الحديث النبوي الشريف ظهور العديد من المؤلفات المهمة مثل صحيح البخاري الذي سلم كبار العلماء في الإسلام لأهميته ومكانته.

من حكمة السنة النبوية نتعلم طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمر والنهي، وأنه (لا ضرر ولا ضرار)، ونتعلم الاقتصاد والمعيشة، ونتعلم الوصايا التي ضمت (جوامع الكلم)، ومن ذلك وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما.

مثل الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته وحكمته وحياته عليه الصلاة والسلام القدوة والإسوة الحسنة التي يتعين علينا اتباعها اليوم من أجل أن نحيا حياة مليئة بالسلام والطمأنينة والسعادة ومن أجل أن نفوز برضى الله سبحانه وتعالى في الآخرة.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى: 606هـ): " جامع الأصول في أحاديث الرسول"، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع ومذيل بحواشي المحقق الشيخ عبد القادر الأرنؤوط – رحمه الله – ، وأيضا أضيفت تعليقات أيمن صالح شعبان (ط : دار الكتب العلمية) في مواضعها من هذه الطبعة، الجزء [1 ،2] : 1389 هـ ، 1969 م، الجزء [3 ، 4] : 1390 هـ ، 1970 م، الجزء [5] : 1390 هـ ، 1971 م، الجزء [6 ، 7] : 1391 هـ ، 1971 م، الجزء [8 – 11] : 1392 هـ ، 1972 م، الجزء [12] (التتمة) : ط دار الفكر ، تحقيق بشير عيون.
- ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ): " المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك"، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، الناشر: دَار الغَرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1428 هـ – 2007 م.
- ابن الفراء، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف (المتوفى: 458هـ): "العدة في أصول الفقه"، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن

سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض – جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الناشر: بدون ناشر، الطبعة: الثانية 1410 هـ – 1990 م.

- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ): " التوضيح لشرح الجامع الصحيح"، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م.
- ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ): "الإعلام بفوائد عمدة الأحكام"، المحقق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م.
- ابن النجار الحنبلي، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف (المتوفى: 972هـ): " شرح الكوكب المنير"، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية 1418هـ – 1997 مـ.
- ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ): " جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم"، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1424 هـ – 2004 م.
- ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف (المتوفى: 861هـ): " فتح القدير"، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): " اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان الطبعة: السابعة، 1419هـ - 1999م.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ): "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ): " جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم"، المحقق: إحسان عباس، دار المعارف – مصر، الطبعة: 1.
- ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: 734هـ): " عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير"، تعليق: إبراهيم محمد رمضان الناشر: دار القلم – بيروت الطبعة: الأولى، 1414/1993.
- ابن قاضي خان، علاء الدين علي بن حسام الدين القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: 975هـ): " كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال"، المحقق: بكري حياني – صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (المتوفى: 774هـ): "السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)"، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: 1395 هـ – 1976 م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (المتوفى: 774هـ): "السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)"، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: 1395 هـ – 1976 م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): " البداية والنهاية"، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، 1418 هـ – 1997 م سنة النشر: 1424هـ / 2003م.
- ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ): " سنن ابن ماجه"، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ – 2009 م. ابن ماجه – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ): "شرح مقدمة سنن ابن ماجه"، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير/ دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير {الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 12 درسا].
- ابن مازة، أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي (المتوفى: 616هـ): "المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام

أبي حنيفة رضي الله عنه"، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م.

- ابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، (المتوفى: 702هـ): " شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية"، الناشر: مؤسسة الريان، الطبعة: السادسة 1424 هـ - 2003 م.
- ابن عساكر، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (المتوفى: 571هـ): "معجم الشيوخ"، المحقق: الدكتورة وفاء تقي الدين، الناشر: دار البشائر – دمشق الطبعة: الأولى 1421 هـ - 2000 م.
- ابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي (المتوفى: 395هـ): " رسالة في فضل الأخبار وشرح مذاهب أهل الآثار وحقيقة السنن"، المحقق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي الناشر: دار المسلم - الرياض الطبعة: الأولى، 1414هـ.
- أبو حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي: " أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري"، المحقق: نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة، الناشر: مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.
- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الله (المتوفى: 241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الله (المتوفى: 241هـ): " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م.
- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الله (المتوفى: 241هـ): " مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
- أحمد بن عمر بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمد بن هاشم: "كتابة السنة النبوية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وأثرها في حفظ السنة النبوية"، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ): " حلية الفقهاء"، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع – بيروت الطبعة: الأولى (1403هـ - 1983م).
- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: 250هـ): " أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار"، المحقق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر – بيروت، بدون تاريخ.
- الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 772هـ): "نهاية السول شرح منهاج الوصول"، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى 1420هـ- 1999م.

- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف (المتوفى: 250هـ): " أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار"، المحقق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر – بيروت، بدون تاريخ.
- الأصبهاني: "حلية الأولياء"، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423 هـ.
- الأعظمي، محمد مصطفى: "دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، الناشر: المكتب الإسلامي، سنة النشر: 1400 – 1980م.
- الألباني: "ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم"، ط1، المكتب الاسلامي، بيروت، 1400 هـ.
- الألباني: "خطبة الحاجة: التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه"، ط1، 1421 – 2000 م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- الأنيس، أ. د. عبد السميع، من جواب في رسالة أرسلها شيخي الشيخ الدكتور عبد السميع الأنيس حفظه الله إلي عبر الواتساب جواباً على رسالة أرسلتها له حفظه الله بتاريخ 6/ 8 / 2022 م، وكان جواب الشيخ بتاريخ 7 / 8 / 2022م.
- البِرْماوي، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (المتوفى: 831 هـ): " اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح"، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب الناشر: دار النوادر، سوريا الطبعة: الأولى، 1433 هـ – 2012 م.
- البغا، [[د مصطفى]]، مقدمة في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل

– البخاري، أبو عبدالله الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ عدد الأجزاء: 9 [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة التخريج، ومتن مرتبط بشرحيه فتح الباري لابن رجب ولابن حجر] مع الكتاب: شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق كالتالي: رقم الحديث (والجزء والصفحة) في ط البغا، يليه تعليقه، ثم أطرافه، الجزء الأول.

- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ): " الأدب المفرد بالتعليقات"، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري مستفيدًا من تخريجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1998 م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ): " شعب الإيمان"، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، 1423 هـ – 2003 م.
- البيهقي (المتوفى: 458هـ): "السنن الكبرى"، دار المعرفة، بيروت، 1413 هـ.

- البيهقي، حمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ): " السنن الكبرى"، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ): " معرفة السنن والآثار"، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق - بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1991م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ): " الأسماء والصفات"، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993 م.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458هـ): " شعب الإيمان"، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م.

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ): " الجامع الكبير – سنن الترمذي"، المحقق: بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة النشر: 1998 م.
- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (المتوفى: 370هـ): " الفصول في الأصول"، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية الطبعة: الثانية، 1414هـ – 1994م.
- الحازمي، أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد: "شرح القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة"، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي، http://alhazme.net، الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – 14 درسا.
- الحضرميّ، عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي (المتوفى: 1410هـ): "منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم"، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة: الثالثة، 1426 هـ / 2005 م.
- الحريمي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك النجدي (المتوفى: 1376هـ): " تطريز رياض الصالحين"، المحقق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 1423 هـ – 2002 م.
- الخضير، عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد: " كيف يستفيد طالب العلم من كتب السنة"، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – درسان].

- الخضير، عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد: "شرح الموطأ"، لمالك بن أنس الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 187 درسا].
- الخضير، عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد: "شرح الأربعين النووية"، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير، [الكتاب مرقم آليا، رقم الجزء هو رقم الدرس – 14 درسا].
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد (ت 388 هـ): " أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)"، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1409 هـ – 1988 م.
- الخطيب، محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله: " السنة قبل التدوين"، أصل هذا الكتاب: رسالة ماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، 1400 هـ – 1980 م.
- الخَلَّال، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الحنبلي (المتوفى: 311هـ): " السنة"، المحقق: د. عطية الزهراني الناشر: دار الراية – الرياض الطبعة: الأولى، 1410هـ – 1989م.
- الدماميني، محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالدماميني، وابن الدماميني (المتوفى: 827 هـ): " مصابيح

الجامع"، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب الناشر: دار النوادر، سوريا الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

- الدِّيار بَكْري، حسين بن محمد بن الحسن (المتوفى: 966هـ): " تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس"، الناشر: دار صادر – بيروت.
- الرافعي، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم القزويني (المتوفى: 623هـ): "شرح مسند الشافعي"، المحقق: أبو بكر وائل محمَّد بكر زهران، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م.
- الرامهرمزي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الفارسي (المتوفى: 360هـ): " المحدث الفاصل بين الراوي والواعي"، المحقق: د. محمد عجاج الخطيب الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: الثالثة، 1404هـ.
- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (المتوفى: 1205هـ): " تاج العروس من جواهر القاموس"، المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية.
- الزرقاني، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد المالكي (المتوفى: 1122هـ): "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1417هـ-1996م.
- الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف المصري الأزهري: " شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك"، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.

- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: 794هـ): " البحر المحيط في أصول الفقه"، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م.
- الساعاتي، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا (المتوفى: 1378 هـ): "الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني"، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (المتوفى: 771هـ): "الأشباه والنظائر"، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1411هـ- 1991م.
- السجستاني، أبو داود سليمان بن الاشعث: "سنن أبي داود"، تحقيق عزت عبيد الدعاس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1389 هـ.
- السندي، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين (المتوفى: 1138هـ): " حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه"، الناشر: دار الجيل - بيروت، بدون طبعة.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (المتوفى: 581هـ): " الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام"، المحقق: عمر عبد السلام السلامي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م.
- السوسي، محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر الردواني المغربي المالكي (المتوفى: 1094هـ): " جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَّوائِد"، تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع الناشر: مكتبة ابن كثير، الكويت - دار ابن حزم، بيروت الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1998 م.

- السندي، عبد القادر بن حبيب الله: " حجية السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي"، الناشر: الجامعة الإسلامية المدينة المنورة الطبعة: السنة الثامنة – العدد الثاني – رمضان 1395هـ سبتمبر 1975م.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (المتوفى: 581هـ): " الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام"، المحقق: عمر عبد السلام السلامي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ): " جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى)"، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة (مفتي الديار المصرية)، طبع على نفقة: د حسن عباس زكي.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ): "اللمع في أسباب ورود الحديث"، بإشراف: مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1416 هـ / 1996 م.
- السيوطي، الحافظ جلال الدين – العلامة محمد ناصر الدين الألباني: " السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير"، رتَّبه وعلق عليه: عصام موسى هادي، الناشر: دار الصديق – توزيع مؤسسة الريان، الطبعة: الثالثة، 1430 هـ – 2009 م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ): "الدر المنثور"، الناشر: دار الفكر – بيروت.

- الشاشي، نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق (المتوفى: 344هـ): " أصول الشاشي"، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.
- الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): " الرسالة"، المحقق: أحمد شاكر الناشر: مكتبه الحلبي، مصر الطبعة: الأولى، 1358هـ/1940م.
- الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): " جماع العلم"، الناشر: دار الأثار الطبعة: الأولى 1423هـ-2002م.
- الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ): " المسند"، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، صححت هذه النسخة: على النسخة المطبوعة في مطبعة بولاق الأميرية والنسخة المطبوعة في بلاد الهند، عام النشر: 1400 هـ.
- الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (المتوفى: 942هـ): "سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد"، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م، 2/ 152.
- الصالح، د. صبحي إبراهيم (المتوفى: 1407هـ): " علوم الحديث ومصطلحه – عرضٌ ودراسة"، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت – لبنان الطبعة: الخامسة عشر، 1984 م.

- الصالحي، محمد بن يوسف الشامي (المتوفى: 942هـ): " سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد"، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م.
- الصرصري، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: 716 هـ): " التعيين في شرح الأربعين"، المحقق: أحمد حَاج محمّد عثمان، الناشر: مؤسسة الريان (بيروت - لبنان)، المكتَبة المكيّة (مكّة - المملكة العربية السعودية)، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير"، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه: محَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق أبو مصعب، الناشر: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض - المملكة الْعَرَبيَّة السعودية، الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م.
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): " سبل السلام"، الناشر: دار الحديث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: 1182هـ): "التنوير شرح الجامع الصغير، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م.

- الضحاك، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن بن مخلد الشيباني (المتوفى: 287هـ): " الآحاد والمثاني"، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة الناشر: دار الراية – الرياض الطبعة: الأولى، 1411 – 1991.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: 310هـ): " تهذيب الآثار (الجزء المفقود)"، المحقق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق / سوريا الطبعة: الأولى، 1416هـ – 1995م.
- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف (المتوفى: 321هـ): " شرح مشكل الآثار"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى – 1415 هـ، 1494 م.
- الطهطاوي، رفاعة رافع بن بدوي بن علي (المتوفى: 1290هـ): "الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز"، دار الذخائر – القاهرة، الطبعة: الأولى – 1419 هـ.
- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (743هـ): "شرح الطيبي على مشكاة المصابيح"، المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م.
- العبشمي، القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي (المتوفى: 610هـ): "ترتيب الأمالي الخميسية للشجري"، مؤلف الأمالي: يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (المتوفى 499 هـ)، رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (المتوفى: 610هـ)، تحقيق: محمد حسن

محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.

- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى: 1421هـ): "شرح الأربعين النووية"، الناشر: دار الثريا للنشر.
- العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: 1162هـ): " كشف الخفاء ومزيل الإلباس"، الناشر: المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م.
- العِراقي (725 - 806 هـ)، ابن السبكي (727 - 771 هـ)، الزبيدي (1145 - 1205 هـ): " تخريج أحاديث إحياء علوم الدين"، استخراج: أبي عبد الله مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد (1374 هـ -؟)، الناشر: دار العاصمة للنشر – الرياض، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1987 م.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي: " فتح الباري شرح صحيح البخاري"، الناشر: دار المعرفة – بيروت، 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- العكبريّ، أبو علي الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب الحنبلي (المتوفى: 428هـ): " رسالة في أصول الفقه"، المحقق: د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر الناشر: المكتبة المكية – مكة المكرمة الطبعة: الأولى، 1413هـ-1992م.

- العوشن، د. محمد عبد الله: "هل اشترك رسول الله في حرب الفجار؟"، مقال منشور في موقع " التاريخ الإسلامي"، في 2014/2/24، على الرابط الآتي: https://islamstory.com/هل-اشترك-رسول-الله-فى-حرب-الفجار/
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: 505هـ): " إحياء علوم الدين"، الناشر: دار المعرفة – بيروت.
- الغيتابى، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفى بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ): " عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (المتوفى: 1014هـ): " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م.
- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب البخاري الحنفي (المتوفى: 380هـ): " بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار"، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، 1420هـ - 1999م.
- المغربي، الحسين بن محمد بن سعيد اللاعيّ، المعروف بالمَغرِبي (المتوفى: 1119 هـ): " البدرُ التمام شرح بلوغ المرام"، المحقق: علي بن عبد الله الزبن الناشر: دار هجر الطبعة: الأولى جـ 1 - 2 (1414 هـ - 1994 م) جـ 3 - 5 (1424 هـ - 2003 م) جـ 6 - 10 (1428 هـ - 2007 م.

- المرداوي، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: 885هـ): " التحبير شرح التحرير في أصول الفقه"، المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. أحمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد – السعودية / الرياض، الطبعة: الأولى، 1421هـ – 2000م.
- المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (المتوفى: 742هـ): " تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف"، المحقق: عبد الصمد شرف الدين، طبعة: المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، الطبعة: الثانية: 1403هـ، 1983م.
- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (المتوفى: 1031هـ): " التيسير بشرح الجامع الصغير"، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، 1408هـ – 1988م.
- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (المتوفى: 1031هـ): " فيض القدير شرح الجامع الصغير"، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، 1356.
- النسائي: "المجتبى من السنن"، المسمى ب (سنن النسائي)، بيت الافكار الدولية، الاردن، بدون تاريخ.
- النووي: "الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار"، ط1، مكتبة المؤيد، 1408 هـ.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ): "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، 1392.

- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: 676هـ): "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، 1392.
- النيسابوري، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: 311هـ): " صحيح ابن خزيمة"، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.
- الهرري، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي: " تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن"، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (المتوفى: 807هـ): " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، حققه وخرج أحاديثه: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المأمون للتراث.
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ): " موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان"، المحقق: حسين سليم أسد الدّاراني – عبده علي الكوشك الناشر: دار الثقافة العربية، دمشق الطبعة: الأولى، (1411 – 1412 هـ) = (1990 م –1992 م).
- حسين، رواء محمود، من حكمة عيسى بن مريم، عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، مختارات من كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير، ينظر رابط المقال في مدونة

Rawaa Mahmoud Hussain: Islamic Wisdom، بتاريخ 13/ 4/ 2014، على الرابط الاتي:

https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/2014/03/13/%d9%85%d9%86-%d8%ad%d9%83%d9%85%d8%a9-%d8%b9%d9%8a%d8%b3%d9%89-%d8%a8%d9%86-%d9%85%d8%b1%d9%8a%d9%85-%d8%b9%d8%a8%d8%af-%d8%a7%d9%84%d9%84%d9%87-%d9%88%d8%b1%d8%b3%d9%88%d9%84%d9%87-%d8%b5%d9%84/

(1) حسين، رواء محمود، في علم الرجال، فهرس من اسمه عبد الحكيم من العلماء ينظر رابط المقال في مدونة Rawaa Mahmoud Hussain: Islamic Wisdom، بتاريخ 3/ 7/ 2017، على الرابط الاتي:

https://rawaamahmoudhussain.wordpress.com/2017/07/03/%d9%81%d9%87%d8%b1%d8%b3-%d9%85%d9%86-%d8%a5%d8%b3%d9%85%d9%87-%d8%b9%d8%a8%d8%af-%d8%a7%d9%84%d8%ad%d9%83%d9%8a%d9%85-%d9%85%d9%86-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d9%84%d9%85%d8%a7%d8%a1-1 /

- رشيد الدين، أبو العباس أحمد بن المفرج بن علي بن عبد العزيز بن مسلمة الدمشقي (المتوفى: 650هـ): " المشيخة البغدادية"، المحقق: عامر حسن صبري، الناشر: مؤسسة الريان [طبع ضمن مجموع فيه ثلاث من كتب المشيخات الحديثية]، الطبعة: الأولى 1425 هـ - 2004 م.
- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ): "السيرة النبوية لابن هشام"، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، بدون تاريخ.
- عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (المتوفى: 1111هـ): " سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي"، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ): " السيرة النبوية لابن هشام"، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م.
- عتر، الدكتور نور الدين: " منهج النقد في علوم الحديث"، الناشر: دار الفكر، دمشق - سورية الطبعة: الثالثة، 1401 هـ -1981 م.
- عتر، نور الدين محمد الحلبي: " الإمام البخاري وفقه التراجم في جامعه الصحيح"، الناشر: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - الكويت. - عدد 4 - سنة 1406 هـ - 1985م.

- قلعجي، محمد رواس – حامد صادق قنيبي: " معجم لغة الفقهاء"، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1408 هـ – 1988 م.
- محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: 151هـ): "سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)"، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى 1398هـ /1978م.
- محمد بن علي بن آدم بن موسى: "مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه"، الناشر: دار المغني، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1427 هـ – 2006 م.
- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ): " تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)"، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ): "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.